

# الأصناف

في التفتية على الأسباب التي أوجبت الاختلاف  
بين المسلمين في آرائهم

تصنيف الامام الاجل والعلامة الأكمل أبي محمد عبد

الله بن محمد ابن السيد البطيوني الأندلسي

المتوفى سنة ٥٢١ هجرية

رحمه الله

اعتنى بتصحيحه وشرح آياته وضبط كتابه الغوي

احمد عمر المحصاني الأزهرى

حقوق الطبع محفوظة له

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين سيدنا محمد وسائر الانبياء وآلهم أجمعين (أما بعد) فقد ظفرت بهذا الكتاب الغريب المثال العجيب المنزع بعد أن كان في زوايا الاهمال ، تتعاقب عليه الاجيال بعد الاجيال ، قصد مؤلفه النصيح فيه لابناء الملة الاسلامية وأبان عن الأسباب التي أوجبت الاختلاف وجاء بالأدلة والشواهد من الكتاب والسنة وكلام العرب وسلك مسلكا ينبغي أن لا يغفل عنه عاقل منصف يعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال . بيد أنه قد أتى في خلال مواضعه بطرف شبيهة ونكت أدبية تزد للمطالع وتدل على بُعد نظره وسعة اطلاعه رحمه الله

ولذا رأيت أن يُطبع هذا الكتاب الجليل كيلا يحرم الناس من فوائده الجمّة ورتبة في انتشار العلم النافع وإبعاداً للجهل المضّر بقدر الامكان مع حلّ لطيف لشواهد وضبط لكلماته اللغوية مبتدئاً بترجمة المؤلف تنويراً لبعض منزاته وما توفيق واعتصامي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

احمد عمر المحمصاني  
الازهرى



هو الامام أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطلاني النحوي  
كان اماماً في علوم اللغات والآداب متبحراً فيها مقدماً في معرفتها  
واقفها سابقاً مبرزاً سكن مدينة بانسية من جزيرة الاندلس وكان  
الناس يجتمعون اليه ويقرؤون عليه ويقتبسون منه وكان حسن التعام  
جيد التفهيم ثقة ضابطاً مأموناً ذا آليف نافعة متمعة تدل على رسوخه  
واتساعه ونفوذه وامتداد باعه وكل شيء تكام فيه كان غاية في الجودة  
روى عن أخيه علي بن محمد وأبي بكر عاصم بن أيوب الأديب وعن  
أبي سعيد الوراق وأبي علي الغساني وغيرهم من أعيان عصره وأعاضهم  
وله نظم حسن فمن ذلك قوله

أخو العلم حيُّ خالد بعد موته      وأوصاله تحت التراب رميم  
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى      يظن من الأحياء وهو عديم

وله في طول الليل

نرى ليلنا شابت نواصيه كبرة      كما شبت أم في الجور روض بهار  
كأن الليالي السبع في الجور جمعت      ولا فصل فيما بينها النهار  
ومولده في ستة أربع وأربعين      وأربعمائة بمدينة بطليوس من

جزيرة الأندلس وتوفي في منتصف رجب سنة إحدى وعشرين وخمسة مائة  
بمدينة بلنسية رحمه الله تعالى . والسيد بكسر السين وسكون الياء من أسماء  
الذئب سُمِّي به جد المترجم

### ﴿ مؤلفاته ﴾

أما تأليفه فهي كثيرة منها ( ١ ) كتاب المثلث في مجلدين أتى فيه  
بالمعاني ودل على اطلاع عظيم فإن مثلث قطرب في كراسة واحدة  
مع أنه استعمل فيها الضرورة ومالا يجوز وغلط في بعضها ( ٢ ) كتاب  
الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن قتيبة وهو شرح مستوفى نبه  
فيه على مواضع الغلط منه ( ٣ ) شرح سقط الزند لأبي العلاء المعري  
جمع فيه المقاصد وهو أجود من شرح أبي العلاء صاحب الديوان الذي  
سماه ضوء السقط ( ٤ ) كتاب في الحروف الخمسة وهي السين والصاد  
والضاد والطاء والدال جمع فيه كل غريب ( ٥ ) كتاب الحلال في شرح  
آيات الجمل ( ٦ ) كتاب الحلال أيضاً في أغاليط الجمل ( ٧ ) كتاب  
الانصاف في التنبيه على الاسباب الموجبة لاختلاف الأمة وهو الكتاب  
الذي نحن بصدد ( ٨ ) كتاب شرح الموطأ ( ٩ ) شرح ديوان المتنبي  
قال ابن خلكان أنه لم يقف عليه وقيل أنه لم يخرج من المغرب اه  
ملخصاً من كتاب بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس لأحمد  
ابن يحيى بن عميرة الضبي ومن كتاب الصلاة في تاريخ أئمة الأندلس  
وعلمائهم لأبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ومن وفيات  
الأعيان للقاضي أحمد بن خلكان رحمه الله آمين



الحمد لله <sup>(١)</sup> مُسْبِغُ النِّعَمِ ، وَمَسْوِغُ الْقَسَمِ ، وَالْمُنْفَرِدُ بِالْقِدَمِ ،  
 وَبَارِيُ النَّسَمِ ، وَمَوْجِدُهُ بَعْدَ الْمَدَمِ ، وَبَاعِثُ الْعِظَامِ الْهَامِدَةَ  
 وَالرِّمَمِ ، وَالْمُخَالَفُ بَيْنَ الْهَيْئَاتِ وَالشِّيمِ ، حَكِيمَةٌ تَاهَتْ فِي  
 فَهْمِهَا عَقُولُ ذَوِي الْحُكْمِ ، خَلَقَ الْأَجْسَامَ مِنْ أَضْدَادٍ مُتَنَافِرَةٍ  
 ابْتَدَعَهَا بِقُدْرَتِهِ ، وَأَلَّفَ نَقَائِضَهَا بِحِكْمَتِهِ حَتَّى أُبْرِزَهَا لِلْعِيَانِ  
 مُتَغَايِرَةَ الصُّورِ وَالْأَلْوَانِ ، مُتَقَنَةَ الْأَشْكَالِ ، مُخْتَرَعَةَ عَلَى غَيْرِ

(١) يوجد في بعض النسخ بعد البسملة ما نصه . رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا .  
 أَخْبَرَنَا الْفقيهُ الْفَاضِلُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ الْمُتَّقِنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ اللَّخْمِيِّ  
 السَّبْتِيِّ قَدِمَ عَلَيْنَا ثَمَرُ الْأَسْكَندَرِيَّةِ وَقَرَأَتْهُ عَلَيْهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُعْظَمِ سَنَةِ  
 ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةَ قَالَ قَرَأْتُ عَلَى الْفقيهِ الْحَافِظِ أَبِي مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ  
 ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّيِّدِ الْبَطَّائِيِّ وَسَيِّدِ رَحْمَةِ اللَّهِ فِي جُمَادِي الْأُولَى سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ  
 وَخَمْسِمِائَةَ بِبَلَنْسِيَّةٍ قَالَ أَحْمَدُ اللَّهُ الْحَافِظُ

مثال ، وخالف بين الآراء والاعتقادات وكما خالف بين الصور والهيئات ، وأخبرنا بما في ذلك من أوضح الدلالات . فقال عز من قائل « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنين لكم والواتكم إن في ذلك لآيات للعالمين ) وقال جل جلاله « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم » وبين لنا أنه قدير على غير ما أجرى المادة به فقال « ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين » ونبهنا لطف تنبيه على ما في هذا الخلاف الموجود في البشر ، المركوز في الفطر ، من الحكمة البالغة وأنه جعله إحدى الدلائل على صحة البعث الذي أنكره من أجد في أسماؤه وكفر بسوابغ نعمائه ، فقال وقوله الحق ، ووعدده الصدق « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون . لبيّن لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين »

وهذه الآية إحدى ما تضمنه القرآن العظيم من الأدلة البرهانية على صحة البعث . ووجه البرهان المنفك من هذه الآية التي لا يقدرها حق قدرها إلا العالمون ، ولا يتنبه

لغامض سرّها إلا المستبصرون ، أن اختلاف المختلفين في الحق لا يوجب اختلاف الحق في نفسه وإنما تختلف الطرق الموصلة اليه ، والقياسات المركبة عليه . والحق في نفسه واحد فلما ثبت أن ههنا حقيقة . وجودة لا محالة وكان لاسبيل لنا في حياتنا هذه إلى الوقوف عليها وقوفاً يوجب لنا الائتلاف ، ويرفع عنا الاختلاف ، إذ كان الاختلاف مركزاً في فطرتنا ، مطبوعاً في خلقنا ، وكان لا يمكن ارتفاعه وزواله إلا بارتفاع هذه الخلقة ونقلنا إلى جبلّة غير هذه الجبلّة صحّ ضرورة أن لنا حياة أخرى غير هذه الحياة فيها يرتفع الخلاف والعناد ، وتزول من صدورنا الضغائن الكامنة والاحقاد ، وهذه هي الحال التي وعدنا الله سبحانه بالمصير إليها فقال « ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخواناً على سُرُرٍ متقابلين » ولا بدّ من كون ذلك بالاضطرار إذ كان وجود الخلاف يقضي وجود الائتلاف لأنه ضرب ونوع من المضاف وكان لا بدّ من حقيقة وإن لم تقل ذلك صرنا إلى مذهب السوفسطائية في نفي الحقائق فقد صار الخلاف الموجود في العالم كما ترى أوضح الدلائل على كون البعث الذي ينكره المنكرون ، وينازع فيه الملحدون الكافرون ،

فسيحات من أودع لنا كتابه العزيز تصريحاً وتلويحاً كل  
لطيفة لمن قدره حق قدره ووفق لفهم غوامض سره ، وصلى  
الله على من هدانا به من الضلالة ، وعلما بعد الجهالة ، وإياه  
نسئل أن يوقفنا لاقتناء آثاره ، حتى يحانا دار الكرامة في جواره  
وإني لما رأيت الناس قد أفرطوا في التأليف ، وأملوا  
الناظرين بأنواع التصنيف في أشياء معروفة ، وأساليب مألوفة  
يعني بعضها عن بعض صرفت خاطري الى وضع كتاب في  
أسباب الخلاف الواقع بين الأمة قليل النظير ، نافع للجمهور  
عجيب المنزع ، غريب المقطع ، يشبه المخترع وإن كان غير  
مخترع ينسب الى الدين بأدنى نسب . ويتعلق من اللسان  
العربي بأقوى سبب ، ويخبر من تأمل غرضه ومقصده بأن  
الطريقة الفقهية مبنية الى علم الادب ، مؤسسة على أصول  
كلام العرب ، وأن مثلها ومثله قول أبي الاسود<sup>(١)</sup> الدؤلي

(١) اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان وهو واضع علم النحو بتعليم  
الامام علي رضي الله عنه وكان من وجود شيعته واستعماله على البصرة بعد  
ابن عباس توفي سنة تسع وستين من الهجرة وهذا البيت يصف به نبيذ  
الزبيب وأطلقه على مذهب العراقيين في الانبذة وحض على ترك الخمر

فَالَا يَكُنُّهَا أَوْ تَكُنُّهُ فَإِنَّهُ أَخُوها غَدَتَهُ أُمَّهُ بِلِبَائِهَا  
 وليس غرضي في كتابي هذا أن أتكلم في الأسباب التي  
 أوجبت الخلاف الأعظم بين من سلف وخلف من الأمم  
 وإنما غرضي أن أذكر الأسباب التي أوجبت الخلاف بين  
 أهل ملتنا الحنيفية التي جعلنا الله من أهلها وهدانا إلى أوضح  
 سبلها حتى صار من فقهاءهم المالكي والشافعي والحنفي والأوزاعي،  
 ومن ذوي مقالاتهم الجبيري والقدري والمشبه والجهمي<sup>(١)</sup>،  
 ومن شيعتهم الزيدي<sup>(٢)</sup> والرافضي والسبئي<sup>(٣)</sup> والغرابي والخمسي

للاجتماع على تحريمها وجعل الزيب أخاً للخمر لأن أصلهما الكرمة هـ من  
 شرح شواهد سبويه لاشتغري وخزانة الأدب للبغدادي

«١» نسبة إلى جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ظهرت  
 بدعته بترمز (قرية بخاري) وقتله سالم بن أحور المازني بمرو في آخر  
 ملك بني أمية هـ من الممل والنحل للشهرستاني

«٢» نسبة إلى زيد بن علي بن العابد بن الحسين بن علي بن أبي  
 طالب واتباعه ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة فقط

«٣» نسبة إلى عبد الله بن سبأ رئيس الغلاة من الروافض  
 والغرابية فرقة من الرافضة زعموا أن جبريل أخطأ فإنه أرسل إلى  
 عليّ فجاء إلى محمد صلى الله عليه وسلم . والمحتملة فرقة قالت بالوهية

والمحمدي وغير هؤلاء من الفرق الثلاث والسبعين التي نص  
عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولا غرضي أن أحصر أصناف المذاهب والآراء، وأنا قاض  
ذوي البدع المضلة والاهواء، لأن هذا الفن من العلم قد  
سبق إليه ونبه في مواضع كثيرة عليه، وإنما غرضي أن أنبه  
على المواضع التي منها نشأ الخلاف بين العلماء، حتى تباينوا في  
المذاهب والآراء، وأنا أستر شد الله سبحانه وتعالى إلى سبيل  
الحق وأستهديه، وأسأله العون على ما أوحاه وأنويه، وأرغب  
إليه في أن يعصمني من الزلل فيما أقوله وأحكيه، إنه وليّ  
الطول ومسدي، لا رب سواه ولا معبود حاشاه

﴿ ذكر الأسباب الموجبة للخلاف كما هي ﴾

أقول وبالله العصمة إن الخلاف عرض لأهل ملتنا من  
ثمانية أوجه كل ضرب من الخلاف متولد منها ومتفرع عنها  
(الأول) منها اشتراك الألفاظ والمعاني (الثاني) الحقيقة  
والمجاز (الثالث) الأفراد والتركيب (الرابع) الخصوص

خسة وهم أصحاب الكساء سيدنا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين •  
تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً

والعموم (الخامس) الرواية والنقل (السادس) الاجتهاد فيما  
لائص فيه (السابع) النسخ والمنسوخ (الثامن) الأباحة  
والتوسيع . ونحن نذكر من كل نوع من هذه الأنواع  
أمثلة تبه قارئ كتابنا هذا على بقيتها إذ كان استيفاء جميع  
ذلك من المتعذر على من حاوله وبالله التوفيق

### الباب الأول

(في الخلاف العارض من جهة اشتراك الألفاظ واحتمالها التأويلات الكثيرة)  
هذا الباب ينقسم إلى ثلاثة أقسام (أحدها) اشتراك  
في موضوع اللفظة المفردة (والثاني) اشتراك في أحوالها  
التي تعرض لها من إعراب وغيره (والثالث) اشتراك يوجب  
تركيب الألفاظ وبناء بعضها على بعض  
فأما الاشتراك العارض في موضوع اللفظة المفردة  
فنوعان . إشتراك بجمع معانٍ مختلفة متضادة . وإشتراك  
بجمع معانٍ مختلفة غير متضادة . فالأول كالقرء ذهب  
الحجازيون من الفقهاء إلى أنه الطهر وذهب العراقيون إلى أنه

الحيض ولكل واحد من القولين شاهد من الحديث واللغة  
أما حجة الحجازيين من الحديث فما روي عن عمر وعثمان  
وعائشة وزيد بن ثابت رضي الله عنهم أنهم قالوا الأقران  
الأطهار . وأما حجبتهم من اللغة فقول الأعشى <sup>(١)</sup>

أفي كل عام أنت جاشم غزوة      تشدُّ لأقصاها عزمَ عزائك  
مورثةً مالا وفي الحي رفةً      لما ضاع فيها من قروء نساك

وأما حجة العراقيين من الحديث فتقول النبي صلى الله عليه وسلم  
للمستحاضة . أقعدي عن الصلاة أيام أقرائك . وأما حجبتهم من  
اللغة فتقول الراجز

ياربّ ذي ضغنٍ عليّ قارض      يرى له قرنة كقرء الحائض  
وقد حكى يعقوب ابن السكيت وغيره من اللغويين أن  
العرب تقول أقرأت المرأة إذا طهرت وأقرأت إذا حاضت  
وذلك أن القرء في كلام العرب معناه الوقت فلذلك صلح  
للطهر والحيض معاً ويبدل على ذلك قول الشاعر

« ١ » هو الأعشى الأكبر واسمه ميمون بن قيس بن جندل ويقال  
له أعشى بكر بن وائل وهو صاحب المعلقة التي أولها  
ما بكاء الكبير بالأطلال      وسوآلي وما ترد سوآلي

سَنَيْتُ (١) العَقْرَ عَقْرَ بَنِي شَيْلٍ إِذَا هَبَّتْ لِقَارِهَا الرِّيحُ  
 وقد احتج بهض الحجازيين لقولهم بقوله تبارك وتعالى  
 ثلاثة قروءٍ فأثبت الهاء في ثلاثة فدل ذلك على أنه أراد الأظهار  
 ولو أراد الحيض لقال ثلاث قروءٍ لأن الحیضة مؤنثة . وهذا  
 لا حجة فيه عند أهل النظر وإنما الحجة لهم فيما قدمناه . وإنما  
 يكن فيه حجة لأنه لا ينكر أن يكون القراء لفظاً مذكراً يعني  
 به المؤنث ويكون تذكير ثلاثة حملاً على اللفظ دون المعنى كما  
 نقول العرب جائي ثلاثة أشخاص وهم يمتنون نساءً والعرب  
 تحول الكلام تارة على اللفظ وتارة على المعنى ألا ترى إلى قراءة  
 القراء « بلى قد جائتک آیاتی فكذبت بها » بكسر الكاف  
 والتاء وفتحهما

ووفوع الأسماء على المسميات في كلام العرب ينقسم  
 أربعة أقسام (أحدها) أن يكون المسمى مذكراً واسمه  
 مذكر كرجل مسمى بزید أو عمرو (والآخر) أن يكون

« ١ » الذي في لسان العرب . كرهت العقر الخ والعقر . موضع  
 وشليل جد جرير بن عبدالله البجلي . وقوله اذ هبت لِقَارِهَا الرِّيحُ أي  
 لوقت هبوبها . والبيت لمالك بن الحارث الهذلي

المسمى مؤنثاً واسمه مؤنث كامرأة تسمى فاطمة (والثالث) أن يكون المسمى مؤنثاً واسمه مذكر كامرأة تسمى بجعفر وزيد قال الراجز

جعفرٌ يا جعفر يا جعفرُ      إنَّك دحداحاً فانتِ أقصرُ  
أوَّكُ ذاشيبُ فانتِ أكبرُ      غصرتكِ سربالٌ عليكِ أحمرُ  
ومَقْعٌ من الحريرِ أصفرُ      وتحتِ ذلكِ سَوَاءٌ لو تذكرُ

(والرابع) أن يكون المسمى مذكراً واسمه مؤنث

كرجل يسمى طلحة أو حمزة وهذا يخص الأسماء الأعلام دون الأجناس والأنواع . وهكذا مذهب العرب في الصفة والموصوف فربما كان الموصوف مطابقاً لصفته في التذكير والتأنيث كقولهم هذا رجل قائم وهذه امرأة قائمة وربما كان مخالفاً لصفته في التذكير والتأنيث كقولهم رجل ربعة وعلامة ونسابة وفي المؤنث امرأة حاسر وعاشق قال ذو الرمة <sup>(١)</sup>

(١) هو أبو الحارث غيلان بن عقبة من بني صعب بن مالك بن عدي أحد فحول الشعراء ومن عشاق العرب المشهورين . وذو الرمة بكسر الراء وضمها . وسُمِّيَ بذِي الرِّمَّة لقوله في أرجوزته يصف وتداً لم يبقَ منها أبَدُ الأبيدِ      غيرُ ثلاثِ مائلاتِ سُودِ  
وغيرُ مشجُوجِ القفا مؤنود      فيه بقايا رُمَّةِ التقايدِ

ولو أن لقمان الحكيم نعرضت لعينيه مئ حاسراً كاد يَبْرَقُ (١)

فقد تبين أن لاجحة في دخول الهاء في ثلاثة

ومن الألفاظ المشتركة الواقعة على الشيء وضده قوله تعالى

« فاصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ » قال بعض المفسرين معناه كالنهار

المضيء، بيضاء لاشيء فيها وقال آخرون كالليل المظلم سوداء

لا شيء فيها وكلا القولين موجود في اللغة أما من قال كالنهار

المضيء فحجته قول زهير<sup>(٢)</sup>

بكرت عليه غدوة فرأيتَه قعوداً لديه بالصريم عواذله

يعني الصباح وأما من قال كالليل فحجته قول الراجز

تهوي هوي أنجم الصريم . وقال آخر

كأنوا الرحال على صوار برمل خزاق أسلمه الصريم ٣٠

يعني ما بقي في رأس الوتيد من رمة الطنب المعقود فيه . وذو الرمة

يكسر الراء وضمها توفى سنة سبع عشر ومائة

(١) أي يحارو وهذا البيت من قصيدة طويلة يقول فيها

وإنسان عيني يحسُرُ الماء تارة فيبدو وتارات يَجْمُ فيغرقُ

(٢) هو زهير بن أبي سلمى واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني

من مزينة بن أد وهذا البيت من قصيدته المشهورة التي أولها

جحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرّي افراس الصبا ورواحله

« ٣ » هذا البيت من أبيات الحماسة وقائله بُرج بن مشر الطائي

قال بعضهم معناه انحسر عنه الرمل وقال قوم معناه خرج  
من الليل وانجلي عنه كما قال النابغة<sup>(١)</sup>  
حتى غدا في بياض الصبح منصلاً<sup>(٢)</sup> يقر والامعز من لبنان والأكام  
وإنما سمي كل واحد منهما صريماً لأنه ينصرم إذا وافي

من قصيدة أولها

وَنَدْمَانٍ يَزِيدُ الْكَأْسَ طِيَّاباً سَقَيْتُ إِذَا تَفَوَّرَتِ النُّجُومُ

قال شارح الحماسة الامام ابي زكريا يحيى الخطيب في شرح البيت  
كأننا والرجال الخ شبه ركائبهم بقطع من البقر بالرمل المذكور أسلمه  
العصرم الى الصيادين والكلاب نخفت وعدت والعصرم استعمل في  
الصبح والليل جميعاً لأن كل واحد منهما ينصرم عن صاحبه وقت السحراه  
(١) هو النابغة الذبياني واسمه زياد بن معاوية وهذا البيت من  
قصيدته التي أولها

بانث سعاد وأمسى جبلها أنجذما واحتلت الشرع فالأجزاء من إضما  
الحبل الوصل وأنجذم انقطع والشرع بفتح الشين عن أبي عمر وموضع  
وبالكسر عن الأصمعي وأبي عبيدة والجزاء جمع جزع وهو منتهى  
الوادي وإضم واد باليمامة اه من شرح ديوانه للوزير أبي بكر بن عاصم  
(٢) الذي في شرح ديوانه هكذا

حتى غدا مثل نصل السيف منصلاً الخ ويروي ثم اغتدى ينفض  
الاعطاف منصلاً الخ وبقرو أي يتبع والامعز جمع امعز وهي الأماكن  
الصلبة الكثيرة الخصي والمنصات الحاد الماضي ولبنان الحبل المعروف اه

الآخر والمعنى أيضاً يشهد لكل واحد من القولين لان العرب  
تقول لك بياض الارض وسوادها يعنون بالبياض مالا عمارة  
فيه وبالسواد ما فيه العمارة فهذا ما يحتاج به لمن ذهب الى معنى  
البياض وأما من ذهب إلى معنى السواد فانما أراد أنها احترقت  
بريح صرٍ أو نار كفوله تعالى « فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت »  
ومن هذا النوع قول أبي بكر رضى الله عنه طوبى لمن  
مات فى النأنة فانه يحتمل أنه يريد أول الإسلام عند قوة  
البصائر وقبل وقوع الخلاف ويحتمل أنه يريد به آخر الإسلام  
إذا ضعف البصائر وكثرت البدع والخلاف ويدل على صحة  
المعنيين جميعاً قوله صلى الله عليه وسلم إن الإسلام بدأ غريباً  
وسيعود غريباً فطوبى للغرباء<sup>(١)</sup> . والنأنة عند العرب الضعف  
لا يخص به الصغير دون الكبير قال امرؤ القيس فى ذلك<sup>(٢)</sup>  
اعمرك ماسعدٌ بخلة آثم ولا نأناً يوم الحفاظ ولا حصر  
وتأوله أبو عبيد على أنه أراد به أول الإسلام وليس فى

(١) قال صاحب لسان العرب مانصه وفى الحديث أن النبي صلى الله  
عليه وسلم سئل عن الغرباء فقال الذين يحيون ما أمات الناس من سنتي اه  
وطوبى للغرباء أي الجنة لهم

(٢) من قصيدته التي يمدح بها سعد بن الضباب الأبيادي ومطلعها

لفظ الحديث ما يقتضي ذلك على أن بعض الرواة قد روى في  
النأنة الأولى فإن صح هذا فالقول ما قاله أبو عبيد

ومن هذا النوع قوله صلى الله عليه وسلم قَصُّوا الشَّارِبَ  
وَأَعْفُوا اللَّحِيَّ . قال قوم معناه وفروا وكثروا وقال آخرون  
قَصَّروا وأنقصوا وكلا القولين له شاهد من اللغة . أما من ذهب  
إلى التكثير فحجته قوله تعالى « حَتَّىٰ عَفَّوْا » وقول جرير

ولَكِنَّا نَعْضُ (١) السِّيفَ مِنْهَا بِأَسْوَقِ عَافِيَاتِ اللَّحْمِ كَوْمِ

وأما من ذهب إلى الحذف والتقصير فحجته قول زهير (٢)

تَحْمَلُ أَهْلَهَا مِنْهَا فَبَاتُوا عَلَى آثَارِ مَنْ ذَهَبَ الْعَفَاءُ

فهذه جملة من اللفظ المشترك الواقع على معان مختلفة متضادة

لعمرك ما قابي إلى أهله بحرٌ ولا مُقَصِّرٌ يوماً فَيَأْتِنِي بَقْرٌ

والحاة في البيت الصداقة والمودة يقال للرجل هو خاتي وخايلي . والحفاظ  
الغضب . والنأنة الضعيف المقصر في الأمر . والحصر الضيق الصدر  
عن تحمل أمر

(١) أي نمرقب النوق للضيوف والأسوق جمع ساق . والكوم  
جمع كوماً وهي الناقة العظيمة السنام . وهذا البيت لم نجد في ديوان  
جرير المطبوع وقد عزاه صاحب لسان العرب للبيد

(٢) يذكر داراً وهذا البيت من قصيدته التي أولها

عفا من آل فاطمة الجواء فِيمَنْ فَالْقَوَادِمِ فَالْحَسَاءِ

وأما اللفظ المشترك الواقع على معان مختلفة غير متضادة  
 فنحو قوله تعالى « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
 وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا » إلى آخر  
 الآية . ذهب قوم إلى أن كلمة أو هي هنا للتخيير كالتي في قولك  
 جالس زيداً أو عمراً فقالوا السلطان مخير في هذه العقوبات يفعل  
 بقاطع السبيل أيها شاء وهو قول الحسن البصري وعطاء وبه  
 قال مالك رحمه الله وذهب آخرون إلى إن كلمة أو هي هنا للتفصيل  
 والتعيين فمن حارب وقتل وأخذ المال صلب ومن قتل ولم يأخذ  
 المال قتل ومن أخذ المال ولم يقتل قطعت يده وهو قول أبي مجلز<sup>(١)</sup>  
 وحجاج بن أرطاة<sup>(٢)</sup> عن ابن عباس وبه قال أبو حنيفة والشافعي  
 رحمهما الله تعالى واحتجوا بحديث رواه عثمان وعائشة عن النبي  
 صلى الله عليه وسلم أنه قال . لا يحل دم امرئ مسلم إلا بأحدى  
 ثلاث زنا بعد احصان أو كفر بعد إيمان أو قتل نفس بغير نفس .

والجواء ويمن والقوادم والحساء مواضع وأما قوله على آثار من  
 ذهب العماء قال أبو عبيد وغيره العماء التراب وهذا كقولهم عليه  
 الدِّبَار إذا دعا عليه أن يدبر فلا يرجع هـ من لسان العرب بزيادة

(١) هو لاحق بن حميد نابي (٢) النخعي الكوفي توفي سنة ١٤٥

واحتجوا من اللغة بأن العرب تستعمل كلمة أولاد أفراد والتفصيل فيقولون اجتمع القوم فقالوا حاربوا أو صالحوا أي قال بعضهم كذا ومنه قوله تعالى « وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا » وليس في الفرق فرقة تخير بين اليهودية والنصرانية وإنما المعنى أن بعضهم وهم اليهود قالوا كونوا هوداً وبعضهم وهم النصارى قالوا كونوا نصارى فهذا تفصيل لا شك فيه والعرب تلف الكلامين المختلفين وترمي بتفسيرهما جملة ثقة بأن السامع يرد إلى كل مخبر عنه ما يليق به قال الله تعالى « ومن رحمته جعل لكم الآيل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله » ونحوه قول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي (١)  
ولو جاء هذا الكلام مفصلاً لقال كأن قلوب الطير رطباً

« ١ » هذا البيت من قصيدته المشهورة التي مطلعها  
الأعم صباحاً أبا الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي  
والعناب في البيت الثمر المعروف والحشف ما يبس من الثمر ولم يكن  
له ولا طعم نوى قال الوزير أبو بكر هذا أحسن بيت جاء بإجماع الرواة  
في تشبيهه شيتين بشيتين في حالتين مختلفتين وتقديره كأن قلوب الطير رطباً  
العناب ويابساً الحشف البالي فشبّه الطري من القلوب بالعناب والعتيق بالحشف  
هـ من شرح ديوان امرئ القيس

العتاب ويابساً الحشف البالى وكذلك الآية لوجاءت مفصلة لقال  
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار لتبتغوا من فضله

واختلفوا فى النفي من الارض ما هو فقال الحجازيون يتقى  
من موضع الى موضع وقال المراقيون يسجن ويحبس والعرب  
تستعمل النفي بمعنى السجن قال بعض المسجونين

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها فاسنا من الاموات فيها ولا الاحياء  
اذا جائنا السجن يوماً حاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

ومن هذا النوع قوله صلى الله عليه وسلم . **أَسْرَعُ كُنَّ**  
**لِحَاقَابِي أَطُولُ كُنَّ يَدًا** . قاله لنسائه فحسبته من الطول الذي  
هو ضد القصر فظنت سودة<sup>(١)</sup> أنها المرادة فلما ماتت زينب قبها  
علمن حينئذ انما أراد الطول الذي هو الفضل والكرم وكانت  
زينب أكثرهن صدقة والعرب تقول فلان أطول يداً من  
فلان إذا كان أكرم منه وأكثر بذلاً قال الشاعر

ولم يك أكثر الفتيان مالاً ولكن كان أطولهم ذراعاً

ويروى أرحبهم . ومن هذا النوع قوله تبارك وتعالى « من  
أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ » قال قوم . معناه من سبب

ذلك كما تقول فعات ذلك من أجلك وقال قوم معناه من جنابة  
ذلك وجريته يقال أجبل عليهم شرّاً يؤجله أجلا اذا جناه  
واحتجوا بقول خوات ابن جبير الانصاري

وأهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل أنا آجله «١»  
وهذا النوع كثير جداً

وأما الاشتراك العارض من قبل اختلاف أحوال الكلمة  
دون موضوع لفظها فمثل قوله تعالى «ولا يضار كاتب ولا شهيد»  
قال قوم مضارّة الكاتب أن يكتب ما لم يملك عليه ومضارّة  
الشهيد أن يشهد بخلاف الشهادة . وقال آخرون مضارتهما أن  
يمنعا من أشغالهما ويكلفا الكتابة والشهادة في وقت يشق ذلك  
فيه عليهما . وإنما أوجب هذا الخلاف أن قوله ولا يضار يحتمل  
أن يكون تقديره ولا يضارر بفتح الراء فيلزم على هذا أن يكون  
الكاتب والشهيد مفعولا بهما لم يسم فاعلهما وهكذا كان يقرأ

(١) أي أنا جانيه . قال ابن بري قال أبو عبيدة هو للخنوث قال

وقد وجدته في شعر زهير في القصيدة التي أولها .

صحا القلب عن سلمى وأقصر باظله . قال وليس في رواية الاصمعي

وقوله وأهل مخفوض بوأرب عن ابن السيرافي ه لسان العرب

ابن مسعود باظهار التضعيف وفتح الراء ويحتمل أن يكون  
تقديره ولا يضارر بكسر الراء فيلزم على هذا أن يكون الكاتب  
والشاهد فاعلين وهكذا كان يقرأ ابن عمر باظهار التضعيف  
وكسر الراء . ومثل هذا قوله تعالى « لا تضارَّ وُلْدَهُ بِوَلَدِهَا  
وَلَا مَوْلُودُهُ بِوَلَدِهِ »

وأما الاشتراك العارض من قبل تركيب الكلام وبناء  
بعض الألفاظ على بعض فان منه ما يدل على معان مختلفة  
متضادة ومنه ما يدل على معان مختلفة غير متضادة فمن النوع  
الأول قوله تعالى « وما يُتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء  
اللاتي لا تؤتونهنَّ ما كتب لهنَّ وترغبونَ أنْ تنكحوهنَّ »  
قال قوم معناه وترغبون في نكاحهن لما لهنَّ وقال آخرون إنما  
أراد وترغبون عن نكاحهن لدمامتهن وقلة ما لهن . وإنما  
أوجب هذا الخلاف أن العرب تقول رغبت عن الشيء إذا  
زهدت فيه ورغبت في الشيء إذا حرصت عليه فلما ركب  
الكلام تركيباً سقط منه حرف الجر احتمال التأويلين المتضادين  
فصار كقول القائل

ويرغب أن يبني المعالي خالد ويرغب أن يرضى صنيع الألام

فهذا البيت يحتمل أن يكون مدحاً وأن يكون ذمّاً فان  
 جعلت الرغبة الأولى مقدره بنى والثانية مقدره بمن كان مدحاً  
 وان جعلت الأولى مقدره بمن والثانية مقدره بنى كان ذمّاً  
 ومن هذا النوع قول علي رضي الله عنه . أيها الناس  
 تزعمون أنني قتلت عثمان ألا وإن الله قتله وأنا معه . أراد علي  
 رضي الله عنه أن الله قتله وسيقتلني معه فعطف أنا على الهاء من  
 قتله وجعل الهاء في معه عائدة على عثمان رضي الله عنه وتأوله  
 الخوارج على أنه عطف أنا على الضمير الفاعل في قتله أو على  
 موضع المنصوب بان كما تقول إن زيدا قائم وعمر وفترفع عمراً  
 عطفاً على موضع زيد وما عمل فيه وجعلوا الضمير في قوله معه  
 عائداً على الله تعالى . فأوجبوا عليه من هذا اللفظ أنه شارك  
 في قتل عثمان رضي الله عنه ولذلك قال كعب بن جعيل<sup>(١)</sup>

إذا سئلَ عنه حذا شبهة      وعمي الجواب على السائنا  
 فليس براض ولا ساخط      ولا في النهاة ولا الآمرينا  
 ولا هو ساء ولا سره      ولا بد من بعض ذا أن يكونا

«١» التغلبي شاعر إسلامي مشهور كان في زمن معاوية . وسئل

مخفف سئل ومثله ساء في البيت الاخير أي ساء

وانما قال هذا لان عليا رضى الله عنه كان يقول اذا ذكر له قتل  
 عثمان رضى الله عنه والله ما امرت ولا نهيت ولا رضيت ولا  
 سخطت ولا سائى ولا سرتى . ونظير هذا الضمير في احتمال  
 التأويلين المتضادين معاقول خالد<sup>(١)</sup> بن عبد الله القسري على المنبر  
 ان امير المؤمنين كتب الي ان امن علياً فالعنوه لعنه الله فأوهم  
 أن الضمير راجع الى علي رضى الله عنه وانما هو عائد الى الامر  
 له بلعنه ولذلك انكر على خالد ما جاء به من اللفظ المشترك  
 فكان بعد ذلك يصرح بلعنه بالفاظ لا اشتراك فيها

وهذا النوع من الضمائر كثير في الكلام فنه قوله  
 سبحانه وتعالى «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ»  
 يجوز أن يكون الضمير الفاعل الذي في يرفعه عائداً على الكلم  
 والضمير المفعول عائداً على العمل فيكون معناه أن الكلم  
 الطيب وهو التوحيد يرفع العمل الصالح لانه لا يصح عمل الا  
 مع ايمان ويجوز أن يكون الضمير الفاعل عائداً على العمل  
 والضمير المفعول عائداً على الكلم فيكون معناه أن العمل الصالح  
 هو الذي يرفع الكلم الطيب وكلاهما صحيح لأن الايمان قول

(١) كان امير المراقين زمن هشام بن عبد الملك الأموي

وعقدت وعمل لا يصح بعضها الا ببعض ولو جعلت في هذه  
الآية اسم الفاعل مكان الفعل لاختلف اللفظان لان اسم الفاعل  
يستتر فيه ضمير ما هو له ويظهر ضمير ما ليس له فكان يلزم  
اذا جعلت الرفع للكلم أن تقول والعمل الصالح رافعه هو واذا  
جعلت الرفع للعمل قلت والعمل الصالح رافعه فيستتر الضمير  
الفاعل ولا يظهر كما تقول هند زيد ضاربتة هي اذا جعلت  
الضرب لهند لأنه جرى خبراً على غير من هو له فاذا جعلت  
الضرب لزيد قلت هند زيد ضاربتها ولم يحتج الى اظهار الضمير  
لجريانه خبراً على من هو له ومن هذا النوع من الضمائر  
قول زهير

نظرت إليه (١) نظرة قرأته على كل حال مرة هو حامله  
يجوز أن يكون الحامل هو الغلام والمحمول هو الفرس ويجوز أن  
يكون الامر بالعكس . ومن هذا النوع من الضمائر قوله صلى الله  
عليه وسلم ان الله تعالى خلق آدم على صورته ذهب قوم الى أن الهاء  
عائدة على آدم وقوم الى أنها عائدة على الله تعالى وسنتكلم على هذا

١٠ الضمير يرجع الى الوليد المذكور في البيت قبله وهو  
فتبع آثار الشيايم وليدنا كشؤبوب غيث يحفش الأكم وابله

الحديث في موضعه ان شاء الله تعالى  
ومن الضمائر المشتركة قول حسان<sup>(٢)</sup>

ظنتم بأن يخفى الذي قد صنعتم      وفينا نبيّ عنده الوحي واضعه (٢)  
ذهب سيبويه الى أن الهاء من واضعه ترجع الى الوحي  
وذهب غيره الى أنها راجعة الى النبي صلى الله عليه وسلم وكلا  
القولين صحيح المعنى فيكون معنى وضع النبي صلى الله عليه وسلم  
للوحي على قول سيبويه أنه وضعه للناس بأمر الله تعالى فسنّ  
السنن وفرض الفرائض ورتّب الاشياء مراتبها ويكون معناه  
على قول غيره أن الوحي يضع عنده ما تصنعون أى يبين له  
ما ترومونه وتدبرونه ، ويظهر له ما تخفونه من مكرم وكيدكم

١٥ هـ هو ابو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الانصاري من بني النجار  
وأهـ الفريرة بنت خنس من بني الحزرج والفريرة مصغر فرعة وهي  
القملة الكبيرة قال ابن قتيبة هو جاهلي اسلامي متقدم الاسلام عاش في  
الجاهلية ستين سنة وفي الاسلام ستين سنة فهو من المخضرمين ومات في  
زمن معاوية رضى الله عنهما

(٢) هذا الشطر في ديوانه المطبوع بتونس هكذا . وفيكم نبي عنده  
الحكم واضعه . والبيت من قصيدة له يهجو بشير ابن ابيرق الظفري  
وكان سرق درعي حديد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

وتزيقونه ، فتقدر الكلام على هذا وفينا نبى الوحي واضع  
ما صنعتم عنده وهذا القول عندي أظهر من قول سيديوه  
ويجوز أن يكون من الوضع الذى هو الاسقاط والاطراح  
فيكون معناه أن الوحي يسقط الذى تصنعونه ويبطله

ومن هذا النوع المشترك التركيب قوله تعالى « حرمت  
عليكم أمهاتكم » الآية فان هذه الآية في بعضها خلاف وفي  
بعضها وفاق فمن قوله « حرمت عليكم أمهاتكم » الى قوله  
« واخواتكم من الرضاعة » تحريم مبهم متفق عليه . وقوله تعالى  
« وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم » تحريم غير مبهم  
ووقع قوله تعالى « وامهات نسائكم » متوسطاً بين التحريمين  
فجعل قوم امهات النساء من التحريم المبهم وجعله آخرون من  
التحريم غير المبهم وقالوا اذا تزوج المرأة ولم يدخل بها لم تحرم  
عليه أمها . وإنما أوجب هذا الخلاف أنه تبارك وتعالى أعاد  
في هذه الآية ذكر النساء مرتين ثم قال على اثر ذلك « اللاتي  
دخلتم بهن » فمن جعل امهات النساء من التحريم المبهم ذهب  
إلى أن اللاتي صفة للنساء المتصلات بالربائب خاصة دون النساء  
المتصلات بالامهات ومن جعلهن من التحريم غير المبهم ذهب

إلى أن اللاتي دخلتم بهن صفة للنساء المذكورات في الموضوعين  
فصار خلاف الفقهاء في هذه الآية مبنيًا على خلاف النحويين  
في جمع الصفة وتفريق الموصوف وذلك أن هذا الباب منه  
ما قد أجمع النحويون على جوازه ومنه ما قد أجمعوا على منعه  
ومنهما اختلفوا فيه . فالذي اتفقوا على جوازه أن يتفق الموصوفان  
في الاعراب والعامل معاً كقولك مررت بزید وأخيك  
العاقلين . والذي اتفقوا على منعه أن يختلف الاعرابان والعاملان  
معاً كقولك مررت بزید وهذا أبوك لا يجوزون أن يقال  
العاقلان ولا العاقلين على الصفة لكن على القطع والنصب  
باضمار أعني أو الرفع باضمار مبتدأ كأنه قال هما العاقلان .  
والذي اختلفوا في جوازه أن يتفق الاعرابان ويختلف العاملان  
كقولك مررت بسلام زید ونزلت على عمرو والعاقلين فقوم  
يجوزون أن يعملوا العاقلين صفة لزید وعمرو وقوم يمنعون من  
ذلك ومذهب من منع من ذلك اقيس لان زیداً جرّاً باضافة  
الغلام اليه وعمراً جرّاً بالي فاذا جعلت العاقلين صفة لهما عملت  
عاملين مختلفين في اسم واحد وذلك لا يجوز وهو جائز على  
قياس قول ابي الحسن الاخفش لان العامل في الموصوف

لا يعمل عنده في صفته وانما تخفض الصفة عنده او تنتصب  
او ترتفع بالاتباع فلما كانت النساء الاول من قوله « وامهات  
نساءكم » العامل فيهن الاضافة والنساء الاخر العامل فيهن من  
اختلف العاملان فوجب أن لا يكون اللاتي دخلتم بهن صفة  
لها معاً على ما قلناه ولكن من أجازته من الفقهاء يمكنه ان  
يحتج بشيئين احدهما ان يكون على مذهب من اجاز ذلك من  
النحويين والآخر ان قوله تعالى اللاتي اسم مبني لا يظهر فيه  
اعراب فيمكن ان يكون منصوباً باضمار اعني او مرفوعاً باضمار  
مبتدا ولو ظهر الاعراب فيه ايضاً لم يمتنع من ان يحمل على  
الاضمار لا على العسفة فيكون كنجو ما انشده سيويه من  
قول الشاعر

امن عمل الجراف أمس وظلمه وعدوانه أعتبتمونا براسم (١)  
أميري عدا ان حبسنا عليهما بهائم مال أوديا بالبهائم  
الا ترى الى قوله اميري عدا لا يجوز ان يكون بدلاً

(١) الجراف ورأسه اسمها عامين يذكر الشاعر ظامهما ويشكو  
منهما • واعتبتمونا أي أرضيتمونا والعداء الظلم وأراد بهائم المال الابل •  
وأوديا بالبهائم ذهباً أي ان حبسنا عليهما الابل ليحصلها ويأخذها

من الجراف وراسم لاختلاف العاملين ولكنه على اضرار  
اعني ونحوه . وكذلك قول الراجز

ان بها أكتل أورزاما خُوَيْرِ بَيْنَ يَنْقُفَانِ الهامان (١)

نخوير بين لا يجوز أن يكون مردوداً على أكتل ورزام  
لأنه إنما أوجب أحدهما لدخول أو التي للشك بينهما الا ترى  
انه لا يجوز رأيت زيدا أو عمراً منطلقين فهذا ونحوه من  
التركيب المشترك الذي يحتمل المعنى وضده ونظيره من  
الشعر قوله (٢)

قِيَّامَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظَامُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ

صدقاتها جارا فذهبها بها باختصار من شرح شواهد سيبويه للشذمري  
«١» البيت لرجل من أسد وأكتل ورزام اسما شخصين  
وخوير بين مثنى خويرب مصغر خارب وهو اللص ويقال هو سارق  
الابل خاصة والصحيح أن كل لص خارب لقوله بعد هذا . لم يترك  
لمسلم طعاما . ولقول الآخر . والخارب اللص يحب الخاربا . فجاءه  
شائعا لكل لص ومعنى ينقنان الهام يستخرجان دماغها وهذا مثل  
ضربه لعلها بالسرقة واستخراجها لالخفي الاشياء وابعدها مراما  
منه ومن اسان العرب

(٢) هذا البيت للنجاحي الحارثي يهجو بني العجلان

الاتراه وقد أخرج الكلام مخرج الهجو ولو لا أن في  
غير هذا البيت دليلاً على ذلك لكان من الثناء والمدح وكذلك  
قول الآخر

يَجْزُونَ مِنْ ظَلَمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً . . . وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا (١)  
واما التركيب الدال على مدان مختلفة غير متضادة فكقوله  
تعالى « وما قتلوه يقيناً » فان قوماً يرون الضمير من قتلوه  
عائداً الى المسيح صلى الله عليه وسلم وقوماً يرونه عائداً الى  
العلم المذكور في قوله « ما لهم به من علم إلا اتباع الظن »  
فيجعلونه من قول العرب قتلت الشيء علماً

ومن هذا النوع قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »  
فان الناس اختلفوا في هذا التشبيه من أين وقع فذهب قوم  
الى أن التشبيه انما وقع في عدد الأيام واحتجوا بحديث روه  
أن النصارى كان فرض عليهم في الانجيل صوم ثلاثين يوماً

(١) البيت من قصيدة في اول الحماسة أقرئط بن أُنَيْف

الْبَلْعَنْبَرِي وَأَوْلَاهَا

لو كنت من مازن لم تستبح إيلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبان

كالتي فرضت علينا وان ملوكهم زادوا فيها تطوعاً حتى صيروها  
خمسين وذهب آخرون الى أن التشبيه انما وقع في الفرض  
لا في عدد الايام وهذا القول هو الصحيح وان كان القولان  
جائزين في كلام العرب ألا ترى أنك اذا قلت أعطيت زيداً  
كما أعطيت عمراً احتمل أن تريد تساوي العطيتين واحتمل أن  
تريد تساوي الاءعطائين وان كنت أعطيت أحدهما بخلاف  
ما أعطيت الآخر وهذا يكثر ان تتبعناه وقد أوردنا منه جملة  
تنبه على الغرض الذي قصدناه وبالله التوفيق

### الباب الثاني

﴿ في الخلاف العارض من جهة الحقيقة والمجاز ﴾

قد ذهب قوم الى ابطال المجاز وذهب قوم الى اثباته  
وانما كلامنا فيه على مذهب من أثبتته لأنه الصحيح الذي  
لا يجوز غيره لقوله تعالى « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ »  
وقوله تعالى « بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ » ولا وجه لاطالة القول في  
الرد على من أنكره لأننا لم نقصد في كتابنا هذا مناقضة أحد

من أهل المقالات وإنما قصدنا الكلام في أصول الخلاف  
فأقول وبالله التوفيق

إن المجاز ثلاثة أنواع نوع يعرض في موضوع اللفظة  
ونوع يعرض في أحوالها المختلفة عليها من اعراب وغيره  
ونوع يعرض في التركيب وبناء بعض الالفاظ على بعض .  
فمثال النوع الاول الميزان فإنه قد يكون المقدار الذي قد تعارفه  
الناس في معاملاتهم ويكون العدل تقول العرب وازنتُ بين  
الشيئين اذا عدلت بينهما ورجل وازن اذا كانت له حصافة  
ومعرفة قال كثير<sup>(١)</sup>

رَأَيْتِي كَأَشْلَاءِ الْأَجَامِ وَبَعَايَا مِنْ الْقَوْمِ أَبْزَى بَادِنٌ مَتْبَاطِنُ  
فَإِنْ أَلَا مَعْرُوقَ الْعِظَامِ فَأَيْتِي إِذَا مَا وَزَنْتِ الْقَوْمَ بِالْقَوْمِ وَازَنْ

ويقال العروض ميزان الشعر والنحو ميزان الكلام .  
ويروى أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عرض عليه عود  
غناء وقيل له ما هذا فقال هذا هو الميزان الرومي أراد أنه

(١) هو أبو صخر كثير بن عبد الرحمن الخزاعي الشاعر المشهور  
أحد عشاق العرب توفي سنة مائة وخمسة من الهجرة . والأشلاء القطع .  
وأبزى أي عظيم الجسم . ومعروق العظام أي ليس فيها لحم

ميزان الغناء وقال بعض الشعراء يرثي عمر بن عبد العزيز  
 قد غيب الدافنون اللحد إذ دفنوا بدَيْرِ سَمْعَانَ قِسْطَاسَ المَوازِينِ  
 فشبه عمر رضي الله عنه لعدله بالميزان

ومن ذلك السلسلة فان العرب تستعملها حقيقة وتستعملها  
 مجازاً على ثلاثة أوجه (الاول) أن تريد بها الاجبار على الامر  
 والاكراه فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم عجبت لقوم  
 يقادون الى الجنة بالسلاسل (الثاني) أن يريدوا بها المنع من  
 الشيء والكف عنه كقول أبي خراش<sup>(١)</sup>

فليس كعهد الدار يأم مالك ولكن احطت بالرقاب السلاسل  
 يريد بالسلاسل حدود الاسلام وهو والمعنى التي كفت  
 الأيدي الفاشمة عن غشمها ومنتعت من سفك الدماء الابحقرها.  
 ومن هذا قوله تعالى « إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى  
 الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ » (والثالث) أن يريدوا به اماتابع بعضه  
 في أثر بعض واتصل كقولهم تسلسل الحديث وتسلسل الماء

(١) هو خويلد بن مرة الهذلي شاعر مفلح مخضرم تابعي وكان من  
 فرسان العرب وقتنا هم أسلم وهو شيخ كبير وحسن اسلامه مات في  
 زمن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

وماء سلسل وسلسال وسلاسل قال أوس بن حجر<sup>(١)</sup>  
 وأشبرنيه الهاككي كانه غدیر جرت في مته الريح سلسل  
 وقالوا سلاسل البرق وسلاسل الرمل قال ذو الرمة  
 لأدمانة من وحش بين سويقة . وبين الحبال العفر ذات السلاسل (٢)  
 ومن هذا النوع قولهم فلان على الجبل وعلى الدابة أي  
 فوق كل واحد منهما فهذا حقيقة ثم يقولون علاه دين وفلان  
 أمير على البصرة يريدون بذلك القهر والغلبة وكذلك قولهم  
 فلان في الدار وفي البيت ثم يقولون أنا في حاجتك وإنما  
 يريدون أن حاجتك قد شغلتي فلم تدع في فضلا لغيرها  
 فشهدوا ذلك بالمكان الذي يحيط بالمتكمن من جهاته الست

(١) من شعراء تميم في الجاهلية يصف سيفاً . وأشبرينه أي أعطانيه  
 ويروي وأشبرنيها فتكون الهاء للدروع قال ابن بري وهو الصواب لأنه  
 يصف درعاً لا سيفاً وقبله

وبيضاء زَغْف ثَلَاة سُلْمِيَة لهارفرف فوق الأناهل مُرسلُ  
 والزغف الدرع اللينة . وسلمية من صنع سليمان بن داود عليهما  
 السلام والهاككي الحداد وأراد به ههنا الصيقل ه من لسان العرب بزيادة  
 (٢) الأدمانة الظبية . وسويقة موضع . والحبال العفر هي الرمال  
 العفر المستطيلة والعفرة غبرة في حمرة

فلا يدع منه فضلا لغيره وهذا كثير جداً في اللغة يكثر أن تتبعناه  
 فنه قوله تعالى فأني الله بنيانهم من القواعد ذهب قوم الى  
 أن البنيان هاهنا حقيقة وأنه أراد الصرح الذي بناه هاهنا  
 لفرعون وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله « وَقَالَ فِرْعَوْنُ  
 يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرِّحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ » وذهب آخرون  
 الى أنه كلام خرج مخرج التمثيل والتشبيه قالوا ومعناه أن  
 ما بنود من مكرهم ووراءوا إثباته وتأسيسه أبطله الله تعالى وصرفه  
 عليهم فكانوا بمنزلة من بنى بنياناً تحصن به من المهالك فسقط  
 عليه فقتله وشبهوه بقوله تعالى « وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا  
 بِأَهْلِهِ » والقولان جيماً جائزاً على مذهب العرب ألا تراهم  
 يقولون بنى فلان شرفاً وبنى مجداً وليس هناك بنيان في الحقيقة  
 قال عبدة<sup>(١)</sup> بن الطيب

فما كان قيس هلك هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهسما

ويشبه هذا المعنى الذي ذهبوا اليه قول ابن أحر<sup>(٢)</sup>

(١) هو تميمي مخضرم برقي قيس بن عاصم التميمي المنقري الصحابي

سيد أهل الوبر من تميم

(٢) هو عمرو بن أحر الباهلي وهو شاعر فصيح كان يتقدم شعراء

رماني بأمر كنت منه ووالدي برثاوم من جال الطوي رماني  
 و يروي ومن جول الطوي والجال والجول ناحية البئر  
 من أسفلها الى أعلاها ومعناه رماني بأمر رجع عليه مكر وهمه  
 فكانه رماني من قعر البئر فرجعت رميته عليه فأهلكته هكذا  
 رواه قوم وفسروه . والمعروف ومن أجل الطوي وإنما كان  
 يخاصمه في بئر يدعيها كل واحد منهما فقال رماني بأمر أنا  
 ووالدي برثان منه من أجل ما بيني وبينه من الخصام في الطوي  
 وعلى هذا يدل الشعر لأن قبله

فلما رأى سفيان أن قد عزلته عن الماء مرى الحليم الوخدان  
 ومن هذا النوع قوله عز وجل « وإن كان مكرهم لتزول  
 منه الجبال » قوم يرون الجبال ههنا حقيقة وأنه أراد بذلك  
 ما كان من صعود نمرود بن كنعان في التابوت نحو السماء فلما  
 كره منحدرًا نحو الأرض ظنته الجبال أمرًا من عند الله تعالى  
 فكادت تزول من مواضعها وقوم آخرون يقولون الجبال  
 ههنا تمثيل لأمر النبي صلى الله عليه وسلم أي أنهم مكروا

زمانه وهو مخضرم توفي على عهد عثمان بعد ان بلغ سنًا عالية . والطوي  
 في البيت اسم للبئر

به ليزيلوا أمره الذي قد رسخ رسوخ الجبال التي لا يستطيع على  
ازالتها من مواضعها والعرب تشبه الشيء الثابت بالجبل الشاخر  
والصخرة الراسية ألا ترى الى قول زهير . الى باذخ يعلو  
على من يطاوله .<sup>(١)</sup> وقول السموأل بن عاديا<sup>(٢)</sup>

لنا جبل نحتله من نجيره      منيع يرد الطرف وهو كليل (٢)

رسا أصله تحت الثرى وسماهه      الى النجم فرع لا ينال طويل

وقال الاعشى

كناطح صخرة يوماً لفلقها      فلم يضرها واوهى قرنه الوعل (٢)  
فهذا كلام العرب . ومن هذا الباب قوله تعالى « يَا بَنِي  
آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سِوَاتِكُمْ ) ومعلوم

(١) صدره . حذيفة ينيه وبدر كلامها . الى باذخ الخ

(٢) البيتان من قصيدته الحماسية المشهورة التي أولها

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عراضه      فكل رداء يرتديه جميل  
والمراد بالجميل في قوله لنا جميل العز والسمو أي من دخل في  
جوارنا امتنع على طلابه هـ

(٣) هذا البيت من قصيدته التي أولها

ودع هديره ان الركب مرتحل      وهل تطيق وداعاً أبها الرجل  
الى أن قال

ان الله تعالى لم ينزل من السماء ملابس تلبس وانما تأويله والله اعلم انه أنزل المطر فنبت عنه النبات ثم رعته البهائم فصار صوفاً وشعراً ووبراً على أبدانها ونبت عنه القطن والكتان فاتخذت من ذلك أصناف الملابس فسمي المطر لباساً اذ كان سبب ذلك على مذهب العرب في تسمية الشيء باسم الشيء اذا كان منه بسبب وهذا يسميه أصحاب المعاني التدرج . ونحوه قولهم للمطر سماء لأنه ينزل من السماء وللنبت ندى لأنه عن الندى يكون وللشحم ندى لأنه عن النبت يكون قال ابن احرر  
كثور العذاب الفرد يضربه الندى تعالى الندى في مته وتحدرا (١)  
وقال معاوية بن مالك معوّد الحكماء (٢)

أست منتهياً عن نحت أثاتنا ولست ضارها ماأطت الابل  
كناطح سخرة الخوقولهأطت الابل من أطيط الابل وهو نقيض  
جلودها عند الحكمة والنقيض صوت النسع والرحل والمفاصل والاضلاع  
وقوله ليفلقها أي يشقها ويروي ايوهنبا أي بزعرعها وقوله فلم يضرها  
اي يضرها من ضار يضير ضيراً اه من شواهد العيني

(١) أراد بالندى الاول في البيت الغيث والمطر وبالندى الثاني الشحم

(٢) سمي معوّد الحكماء لقوله في هذه القصيدة التي منها هذا البيت

أعوّد مثلها الحكماء بعدي اذا ما الحق في الحدّان تابا

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غنصاً

ونحوه قول الراجز

الحمد لله العزيز المنان صار الثريد في رؤس العيدان

يريد السنبيل . ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم  
ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا ثلث الليل الأخير فيقول هل  
من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب  
فأتوب عليه . جعلته المجسمة نزولاً على الحقيقة تعان الله عما  
يقول الجاهلون علواً كبيراً . وقد أجمع العارفون الله تعالى على  
أنه لا ينتقل لأن الانتقال من صفة المحدثات ولهذا الحديث  
تأويلان صحيحان لا يقتضيان شيئاً من التشبيه (أحدهما) أشار  
إليه مالك بن أنس رضي الله عنه وقد سئل عن هذا الحديث  
فقال ينزل أمره في كل سحر فأما هو عن وجل فانه دائم  
لا يزول وسئل عنه الأوزاعي فقال يفعل الله ما يشاء وهذا تلويح  
يحتاج إلى تصريح وخفي إشارة يحتاج إلى بين عبارة وحقيقة  
الذي ذهب إليه رحمه الله تعالى أن العرب تنسب الفعل إلى  
من أمر به كما تنسبه إلى من فعله وبأشده بنفسه فيقولون  
كتب الأمير لفلان كتاباً وقطع الأمير يد اللص وضرب

السلطان فلاناً الف سوط وهو لم يباشر شيئاً من ذلك بنفسه  
 إنما أمر به ولأجل هذا احتيج إلى التأكيد الموضوع في الكلام  
 فقيل جاء زيد نفسه ورأيت زيدا نفسه فمعناه على هذا أن الله  
 تعالى يأمر ملكاً بالنزول إلى السماء الدنيا فينادي بأمره وقد  
 تقول العرب جاء فلان إذا جاء كتابه ووصيته ويقولون للرجل  
 أنت ضربت زيدا وهو لم يضربه إذا كان قد رضي بذلك وشايح  
 عليه قال الله تعالى « فَلَمْ تَقْتُلُونِ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ » والمخاطبون بها لم  
 يقتلوا نبياً ولكنهم لما رضوا بذلك وتولوا قتل الأنبياء  
 وشايحهم على فعلهم نسب الفعل إليهم وإن كانوا لم يباشروه .  
 وعلى هذا يتناول قوله تعالى « فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ »  
 فهذا تأويل كما تراه صحيح جار على فصيح كلام العرب في محاوراتها  
 والمتعارف من أساليبها ومخاطباتها وهو شرح ما أراد مالك  
 والأوزاعي رحمه الله .

ومما يقوي هذا التأويل ويشهد لصحته أن بعض أهل

الحديث رواه ينزل الله بضم الياء وهذا واضح  
 (والتأويل الثاني) أن العرب تستعمل النزول على وجهين أحدهما  
 حقيقة والآخر مجاز واستعارة فأما الحقيقة فأنحدار الشيء من

علو الى أسفل كقوله تعالى « وَنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا  
مِنْ بَرَدٍ » وكقول امرئ القيس

هو المنزل الألف من جونا عيط بني أسد حزناً من الأرض أو وعراً (١)

وأما الاستعارة والمجاز فعلى أربعة أوجه (أحدها) الاقبال

على الشيء بعد الاعراض عنه والمقاربة بعد المباعدة يقال نزل

البائع في سلعته اذا قارب المشتري فيها بعد مباعده وأمكنه

منها بعد منعه ويقال نزل فلان عن أهله أي تركها وأقبل على

غيرها ومنه قول الشاعر (٢)

(١) البيت من قصيدته التي أولها

سمالك شوق بعد ما كان أقصرا الخ والضمير في قوله هو المنزل يرجع

الى قوله قباه

عليها فتى لم تحمل الأرض مثله أبرر بيمثاق واوفى واصبرا

وعنى بقوله فتى نفسه والألف جمع ألف وناعط جبل باليمن في أرض

همدان . والحزن الوعر من الأرض . والمعنى أنه أنزل بن أسد على

كثرتهم في هذا الجبل تحصناً منه لئلا يدركهم هـ من شرح ديوان

امرئ القيس للوزير ابي بكر بن عاصم

(٢) هو حطان بن المعلّى من شعراء الحماسة وهذا البيت مطلع قصيدة

له وفيها يقول

أنزلى الدهر على حكمه من شاهق عال الى خفض  
 أي جعلني أقارب من كنت أباعده وأقبل على من كنت  
 أعرض عنه فيكون معنى الحديث على هذا أن العبد في هذا  
 الوقت أقرب الى رحمة الله منه في غيره من الأوقات وأن  
 البارئ سبحانه وتعالى يقبل على عباده بالتحنن والمطف في هذا  
 الوقت بما يقبضه في قلوبهم من التنبيه والتذكير الباعثين لهم  
 على الطاعة والجد في العمل فهذا تأويل أيضاً ممكن صحيح .  
 وأما الأقسام الباقية من معنى النزول فلا مدخل لها في هذا  
 الحديث وإنما نذكرها لتوفية معنى النزول ولأنها مما يحتاج  
 إليه في غير هذا الحديث (فمنها) ما يراد به ترتيب الأشياء  
 ووضعها مواضعها اللائقة بها كقوله تعالى « ونزلناه تنزيلاً »  
 أي رتبناه مراتبه ووضعناه مواضعه ومن ذلك قولهم نزل  
 فلان عند الملك منزلة حسنة أو قبيحة ومنه قول الشاعر<sup>(١)</sup>

وانما اولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الارض

لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عيني عن الغمض

(١) هو سديف مولى بني هاشم يخاطب أبا العباس السفاح ويحرضه

على قتل أسارى بني أمية

أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والاتعاس  
 (ومنها) ما يراد به الاعلام والقول كقوله تعالى « وَمَنْ  
 قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ » أي أقول مثل ما قال الله وأعلم  
 بمثل ما أعلم ومن هذا إنزال الوحي انما معناه أن جبريل تلقاه  
 عن الله سبحانه وتعالى وأداه الى محمد صلى الله عليه وسلم وهذا  
 راجع الى معنى الاقبال الذي قدمناه (ومنها) ما يراد به الانحطاط  
 عن المرتبة والذلة كقولهم نزلت منزلة فلان عند الملك أسى  
 انحطت ولا يجوز أن يكون قوله أنزلي الدهر على حكمه من  
 هذا المعنى . وقد تستعمل العرب النزول في المنام والزيادة وهو  
 ضد ما ذكرناه قبل هذا فيقولون طعام له نزل أي بركة ونماء  
 وأرض نزلة اذا كانت كثيرة الكلاً وتركت القوم على نزلاتهم  
 اذا كانوا في خصب وحسن حال وقد يستعملونه أيضاً على معنى  
 آخر يقولون نزل القوم اذا أتوا منى ويقال لمنى المنازل  
 قال الشاعر<sup>(١)</sup>

أنزلة يا أسم ام غير نازله أبني لنا يا أسم ما انت فاعله

(١) هو عامر بن الطفيل العامري وصدر البيت في لسان العرب  
 هكذا . أنزلة أسماءم غير نازله الخ وهو الصحيح

جميع مواضع هذه الكلمة سبعة فهذه وجوه النزول  
في كلام العرب

ومما غلظت فيه المجسمة أيضاً قوله تعالى « اللهُ نور  
السموات والارض » فتوهموا أن ربهم نور تعالى الله عن قول  
الجاهلين علواً كبيراً وإنما المعنى هادي أهل السموات والارض  
والعرب تسمي كل ما جلا الشبهات وأزال الالتباس وأوضح  
الحق نوراً قال الله تعالى « وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً » يعني القرآن  
وعلى هذا المعنى سمى نبيه صلى الله عليه وسلم سراجاً منيراً  
فقال عز من قائل « وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً »  
وقال العباس<sup>(١)</sup> بن عبد المطلب

وأنت لما ظهرت أشرفت الا \* رض وضئت بنورك الأفق

وعلى هذا مجرى كلام العرب قال عمرو القيس

أفرحشا امرئ القيس بن حُجر بنو تيم مصابيح الظلام (٢)

(١) هو عم النبي صلى الله عليه وسلم وهذا البيت من قصيدة

له يمدحه بها عند رجوعه صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك

(٢) هذا البيت من أبيات له يمدح بها المعلّى أحد بني تيم وهم تيم

طي وكان أجاره من المنذر بن ماء السماء وأولها

كأنني اذ نزلت على المعلّى نزلت على البواذخ من شام

وقال النابغة (١)

لا يبعد الله جيرا نانا تركتهم مثل المصابيح تجلوا ليلة الظلم (٢)

وقال الآخر

من تلق منهم نُقل لا قيت سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها السارى (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم (٤)

أبواذخ جمع باذخ وهو الطويل من الخيال وشام جبل بالعالية ولهذا الجبل رأسان يسميان ابني شام قال لبيد

فهل نُبتت عن أخوين داما على الاحداث الا ابني شام

وقول امرئ القيس مصابيح الظلام إما لحسن وجوههم أولانهم يكشفون الامور المهمة بصحة رأيهم كما تجلو المصابيح الظلام وقد شعر هؤلاء القوم بقول امرئ القيس حتى سمو مصابيح الظلام من شرح ديوان امرئ القيس للوزير أبي بكر واسان العرب

- (١) الذبياني يمدح بني غسان حين ارتحل من عندهم راجعاً .
- (٢) ويروى طخية الظلم وطخية الظلم والطخية الظلمة يريدانهم يستضاء بأرائهم في المشكلات كما يستضاء بالمصباح في الظلام قال الوزير ابو بكر شارح ديوانه ويحتمل ان يكون شبههم بالمصابيح في حسن وجوههم .
- (٣) هذا البيت من ابيات الحماسة وقائمه العرندس احد بني بكر بن كلاب يمدح بني عمرو الغنويين وهو من ابيات اولها  
هينون لينون ايسار ذوو كرم سواس مكرمة ابناء ايسار
- (٤) ذكر الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي في كتابه

اهتديتم . ولو منحت المجسمة طرفاً من التوفيق ، وتاملت الآية  
 بعين التحقيق ، لو وجدت فيها ما يبطل دعواهم دون تكاف تأويل ،  
 ومن غير طلب دليل ، لانه قال الله تعالى بعقب الآية « وَيَضْرِبُ  
 اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » فاخبرنا أن ما ذكره  
 في الآية المزيزة من النور والمشكاة والمصباح والزجاجة والزيتونة  
 والشجرة أمثال مضرورية يعقلها عن الله تعالى من وفق لفهمها  
 وكشفت له الحجب عن مكنون سرها وعلما كما قال تعالى  
 « وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ »

فان قلت فكيف يقع هذا التمثيل وما المراد به ؟ فالجواب  
 أنه شبه صدر المؤمن بالمشكاة وقلبه بالزجاجة ونور الهدى الذي  
 يضعه في قلبه بالمصباح وشبه مادة الهدى المنبثثة من قبل

جامع بيان العلم وفضله أن هذا الحديث غير صحيح وذكر الطرق التي  
 روى هذا الحديث منها وبين فسادها . وذكر مثل ذلك الامام ابو محمد  
 ابن حزم الاندلسي في كتاب الاحكام . وقال المزني في هذا الحديث  
 لأن صح هذا الخبر فمعناه فيما نقلوا عن الرسول وشهدوا به عليه فكلهم  
 ثقة مؤتمن على ما جاء به لا يجوز عندي غير هذا وأما ما قالوا فيه برأيهم فلو كان  
 عند أنفسهم كذلك ماخطأ بعضهم بعضاً ولا أنكر بعضهم على بعض  
 ولا رجع منهم أحد إلى قول صاحبه فتدبر هـ

الرسول صلى الله عليه وسلم التي تزيد في بصائر المؤمنين وتحفظ نور الايمان عليهم وتمنعه من أن يغاب عليه الشك فيطمسه بمادة الزيت التي تمد المصباح لئلا يطفأ نوره وشبه النبي صلى الله عليه وسلم بالزيتونة إذ كان الهدى إنما ينبعث من قبله كانبعاث الزيت من الزيتون وجعل الزيتونة لاشرقية ولاغربية لان ظهوره ومبعثه صلى الله عليه وسلم إنما كان بمكة ومكة متوسطة بين المشرق والمغرب . فهذا كلام كما ترى قد خرج على أحسن مخارج الكلام وتشبيه جاء على أبداع وجوه التشبيه فهذا ونحوه من الحقيقة والمجاز العارضان في موضوع الكلمة وأما الحقيقة والمجاز العارضان فيها من قبل أحوالهما فانهما كثيران أيضا ككثرة النوع الاول فمن ذلك قولهم مات زيد فيرفعونه كما يرفعون قولهم مات الله زيدا وأحدهما حقيقة والآخر مجاز ومنه قوله تعالى «فإِذَاعَزَمَ الْأَمْرُ» والامر لا يعزم إنما يعزم عليه قال النابغة . وإن لدين قد عزما<sup>(١)</sup> . ويقولون

(١) صدر هذه القطعة قوله

حيالكِ ربي فإننا لا يحل لنا      هو النساء وان الدين قد عزما  
قال أبو عبيدة الدين التقوى بقول قد عزمنا على التقوى فهو

أعطي ثوب زيدا وإنما الوجه أعطي زيد ثوباً لان زيدا هو  
الآخذ للثوب والمتناول له . وولد له ستون عاماً والمعنى ولد  
له الاولاد في ستين عاماً . ونحوه قوله تعالى « بل مكر الليل  
والنهار » والمراد بل مكرهم في الليل والنهار وأنشد سيويه  
أما النهار ففي قيد وسلسلة والليل في بطن منحوت من المساج (١)  
ونقول العرب نهارك صائم وليك قائم قال جرير  
لقد لمتنا بأمر غيلان في السرى ونمت وما ليل المطي بناثم (٢)  
وقال حميد بن ثور الهلالي (٣)  
ومطوية الاقرب أما نهارها فسبت وأما ليها فذمير  
وأما المجاز والحقيقة العارضان من طريق التركيب وبناء

الذي يحجزني عن اللهو والزنا اه من شرح ديوانه  
(١) قائل هذا البيت يصف محبوساً يقيد بالنهار ويغلب في سلسلة  
ويوضع بالليل في خشبة منحوتة والمساج شجر معروف من شجر الهند  
من شرح شواهد سيويه لاشتغري بتصريف  
(٢) المعنى وما المطي بناثم في الليل  
(٣) الصبحاني رضي الله عنه يصف ناقه . والاقرب جمع قرب وهي  
الخاصرة والسبت السير السريع والذمير ضرب من السير

بعض الألفاظ على بعض فنحو الامر يرد بصيغة الخبر والخبر  
يُرد بصيغة الامر والايجاب يرد بصيغة النفي والنفي يرد  
بصيغة الايجاب والواجب يرد بصيغة الممكن أو الممتنع والممكن  
والممتنع يردان بصيغة الواجب والمدح يرد بصيغة الذم والذم  
يُرد بصيغة المدح والتقليل يرد بصيغة التكثير والتكثير يرد  
بصيغة التقليل ونحو ذلك من أساليب الكلام التي لا يقف عليها  
إلا من تحقق بعلم اللسان وكل نوع من هذه مقصود به  
عرض من أغراض البيان ونحن نذكر من كل نوع من هذه  
الانواع أمثلة تشهد بصحة ما قلناه أيحتذى فيما لم نذكره على  
ما ذكرناه ان شاء الله تعالى

أما الامر الوارد بصيغة الخبر فكقولك حسبك درهم  
فان صيغة هذا الكلام كصيغة قولك أخوك منطلق وأبوك  
زيد ومعناه معنى الامر لان تقديره ليكفك درهم أو اکتف  
بدرهم قال امرؤ القيس . وحسبك من غنى شعبي وري (١)

ومن هذا قولهم في الدعاء غفر الله لزيد ورحمك الله

(١) صدر هذا الشطر قوله فتوسع اهلها قطعاً وسمناً وحسبك الخ

وسلام عليك ومنه قوله تعالى « والوالدات يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوَائِنَ كَأَمَلِينَ » وإنما المعنى لترضع الوالدة أولادهن لأنه لم يخبرنا وإنما أمرنا

وأما الخبر الوارد بصيغة الامر فكتولهم في التعجب أحسن بزبد فان صيغته كصيغة قولك أحسن الى زيد وأحدهما خبر وادّخر أمر لان معنى أحسن يزيد ما أحسن زيدا فأنما أنت مخبر لا أمر ومكان الباء وما عملت فيه رفع ومكان الى وما عملت فيه نصب ومنه قوله تعالى « أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ » أي ما أسمعهم وأبصرهم

وأما الايجاب الوارد بصيغة النفي فكتولك ما زال زيد عالما فان صيغته كصيغة قولك ما كان زيد عالماً والاول ايجاب والثاني نفي فاذا أدخلت على هذه الجملة لا التي للايجاب فقلت ما زال زيد الا عالماً صارت صيغته صيغة الموجب ومعناه معنى المنفي والعملة

والاقط شيء مثل الجبين يتخذ من اللبن المخيض . يقول هي قوام لاهلها ويكفي من الغنى أن يشبع الانسان ويروى . قال الوزير أبو بكر وبهذا البيت أنكرا الاصمعي أن يكون الشعر لامرئ القيس لأنه قد ذكر عن نفسه أنه لا يقتصر الا على حصول الملك اه

في ذلك أن قولك زال زيد عالماً لو كان مما يستعمل لكان معناه  
 النفي لأن معناه زال عن العلم وانتفى منه فإذا أدخلت عليه ما النافية  
 رجع إيجاباً لأن النفي الثاني يبطل النفي الأول فإذا أدخلت الأبطال  
 النفي الثاني الذي أوجبه ما وعاد النفي الأول إلى حاله فصار  
 قولك مازال زيد إلا عالماً بمنزلة قولك زال زيد عالماً فمن  
 النحويين من يرى أن قولك مازل زيد إلا عالماً إنما امتنع  
 من الجواز لأن دخول ما في صدر المسئلة يوجب له العلم  
 ودخول إلا في آخرها ينفي عنه العلم فيصير مثبتاً نافية للخبر  
 في حال واحدة . ومنهم من يقول إنما استحال لأن دخول  
 إلا عليه يبطل ما لأنها مناقضة لما فكأنك قلت زال زيد عالماً  
 وهذا غير جائز لأن العرب لم تستعمل زال الداخلة على الابتداء  
 والخبر إلا مع ما . ومنهم من يقول إنما استحال لأن قولك  
 مازال زيد عالماً كلام . ووجب وإن كان بصورة المنفي فلما كان  
 كذلك لم يجز دخول إلا عليه لأن إلا إنما وضعت لتوجب  
 ما كان منفيًا قبل دخولها فإذا كان الكلام موجباً بنفسه  
 استغني عنها

ومن ظريف هذا النوع قول الفرزدق<sup>(١)</sup>

أيدي رجال لم يشيموا سيوفهم ولم تكثر القتلى بها حين سلّت  
قال أصحاب المعاني معناه لم يشيموا سيوفهم الا وقد كثرت  
القتلى بها حين سلّت فعناه كما ترى ايجاب وصيغته وظاهره  
نفي وانما أوجب هذا لان قوله ولم تكثر القتلى ليس بجملة  
منقطعة من الجملة التي قبلها معطوفة عليها على حد عطف الجمل  
على الجمل وانما هي في موضع نصب على الحال من السيوف  
وتقدير الكلام لم يشيموا سيوفهم غير كثيرة القتلى بها حين  
سلّت فصار تنزلة قولك لم يجي زيد ولم يركب فرسه اذا جعلت  
قولك ولم يركب فرسه في موضع الحال من زيد تقديره لم يجي  
زيد غير راكب فرسه فمحصل معناه أنه جاء راكباً فرسه  
فظاهره نفي ومعناه ايجاب . وقد يجوز في المسئلة ان تريد أنه  
لم يجي ولم يركب فتعني الفعلين معاً وتجعلها جملتين ليست  
احديهما متعلقة بالآخرى الا على جهة المطف فقط

وأما النفي الوارد بصورة الايجاب فنحو قولهم لو جائي

١٤ يصف سيوفاً . وقوله يشيموا أي يغمدوا وسيوفهم اظهار

زيد لا كرمته فصورته صورة كلام موجب لانه ليس فيه  
أداة من أدوات النفي وهو منفي في المعنى لانه لم يقع المجيء ولا  
الإكرام فاذا دخل عليه حرف النفي فقبل لو لم يشتمني زيد لم  
أضربه صارت صورته صورة المنفي ومعناه معنى الموجب ومن  
أجل هذا قال النحويون في نحو قول امرئ القيس  
فلو أن ما أسى لادنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال (١)  
ان نصب القليل هنا محال لانه لو نصبه لاوجب أنه قد  
طلب قليلا من المال وهذا خلاف ما أراد الشاعر إلا تراه  
يقول بعد هذا

ولكنما أسى لمجد مؤئل وقد يدرك المجد المؤئل أمثالي  
فأخبر بعد همته وعلوها وأنه إنما يطلب الملك والرياسة  
الآتري أن النحويين قد جعلوا قوله ولم أطلب قليلا من المال  
بالنصب إيجابا وظاهره نفي وإنما عرض هذا من قبل دخول  
لو في أول البيت وقد أعلمتك أن إيجابها نفي ونفيها إيجاب .  
ومن هذا قوله عز وجل « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها »

« ١ » هذا البيت والذي بعده من قصيدته التي أولها  
الأعير صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الحالي

«ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً»

وأما ورود الواجب بصورة الممكن فقوله تعالى «فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَّ بِالْفَتْحِ» وقوله «عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً» وهذا واجب ثابت وصورته صورة الممكن المشكوك فيه والعرب تفعل هذا تحريراً للمعاني واحتياطاً عليها ومنه قول الشاعر

لعلي إن مالت بي الريح ميلاً      على ابن أبي زبّان أن يتندما

فأخرج كلامه فخرج الممكن وإنما يريد أن يتندم لاحالة

وأما ورود الممتنع بصورة الممكن فكقول امرئ القيس

وبدلت قرحاً دامياً بعد صيحة      لعل منايانا تحولن أبوساً (١)

وتحول المنايا أبوساً من الممتنع الذي لا يمكن وقد جعله كما

ترى في صورة الممكن على اللم منه أنه ليس كذلك تعطلاً بذلك

(١) الشطر الأخير في ديوانه المشروح هكذا فيالك من نعمي

تحولن أبوساً والذي هنا هو الرواية الصحيحة المشهورة

قال الشارح أبو بكر قوله وبدلت قرحاً دامياً الخ يريد ما ناله في

جسمه من لبس الحلة المسمومة التي أرسلها إليه قيصر من بلاد الروم

وكان جسمه قد تقطع بعد لبسها وهذا البيت من قصيدته التي أوطأ

ألماعاً على الربع القديم بعسماً      كأني أنادي أو أكلم أخرساً

واستراحة مما كان فيه من عظيم البلاء . ونحوه قول كعب<sup>(١)</sup> بن سعد الغنوي يرثي أخاه

وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذلك مجيب  
فقلت أدع أخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبي المغوار منك قريب  
يجيبك كما قد كان يفعل انه (٢) مجيب لآبواب العلاء طوب  
وقال النابغة<sup>(٣)</sup>

فان تحي لا أملل حياتي وان تمت فم في حياتي بعد موتك طائل  
ومن هذا قول الرجل المحرق لبنيه اذا مات فاحرقوني  
ثم اذروا رمادي في اليم فإلي أضل الله فوالله ائن قدر الله لي  
ليعذبني عذابا شديدا . ألا ترى أنه أخرج ما قد تحقق أنه  
لا يكون مخرج ما يرجي أن يكون تعلا بذلك واستراحة اليه كما  
فعل امرؤ القيس حين اشتد به البلاء في قوله . لعل منا يا نا تحولن

« ١ » شاعر اسلامي مفلح وهو أحد السبعة أصحاب عيون المراني  
المذكورين في جمهرة أشعار العرب . وأول هذه المرثية قوله

تقول ابنة العبيسي قد شبت بعدنا وكل امرئ بعد الشباب يشيب  
« ٢ » هذا الشطر في الجمهرة هكذا . بأمثالها رجب الذراع أريب

« ٣ » يرثي النعمان بن الحارث الغساني من قصيدة أولها  
دعاك الهوى واستجهلتك المنازل وكيف تصابي المرء والشيب شامل

ابؤسا . وهو لا يشك في أن هذا الذي رجاه ممتع ومن أبين  
ما في ذلك قول الآخر

أخادع نفسي بالأمانى تمللا على العلم مني أنها ليس تنفع  
وأما قوله فوالله إئن قدر الله تعالى عليّ ليعذبني عذابا  
شديدا فمعناه فوالله إئن ضيق الله عليّ طرق الخلاص ليعذبني  
وإيس يشك في قدرة الله تعالى ولو شك في قدرته لكان كافرا  
وإنما هو كقوله تعالى « فظنّ أنّ لن نقدر عليه » وقوله « ومن  
قُدِرَ عليه رزقه » أي ضيق ويجوز أن يكون من القدر الذي هو  
القضاء فيكون معناه فوالله إئن قدر الله عليّ العذاب فحذف  
المفعول اختصارا كما قال النابغة الجعدي <sup>(١)</sup>

حتى لحقنا بهم ثمدي فوارسنا كأننا رعن قفّ يرفع الآلا  
أراد ثمدي فوارسنا الحيل . وقد يجوز أن يكون قوله  
فوالله إئن قدر الله عليّ من القدرة على الشيء . فإن قيل كيف  
يصح هذا ودخول الشرط عليه قد جعله من حيز الممكن الذي

١٠ صحابي جليل من العمرين المخضرمين واختلف في اسمه فقيل  
قيس بن عبد الله وقيل حسان بن قيس . ورعن قف أي رأس جبل  
ورفع الآلا أي السراب

بمجاز أن يكون وبمجاز أن لا يكون وهذه خاصة الشرط الأتري  
 أنك إذا قلت إن جائي زيد أكرمه فممكن أن يقع ذلك وممكن  
 أن لا يقع وهذا شك محض في قدرة الله عز وجل . والجواب أن  
 العرب قد تستعمل إن التي للشرط بمعنى إذا كما تستعمل إذا بمعنى  
 إن . وإذا تقع على الشيء الذي لا يشك في كونه كقوله إذا كان الليل  
 فأنتي وكون الليل لا بد منه وكقوله تعالى « إذا السماء انقطرت »  
 فمعناه على هذا فوالله إذا قدر الله على ليعذبني عذاباً شديداً  
 وإنما جاز وقوع إن التي للشرط موقع إذا الزمانية لأن كل  
 واحدة منهما تحتاج إلى جواب والشيطان إذا تضارعا جاز أن يقع  
 كل واحد منهما . موقع صاحبه فما وقعت فيه إن موقع إذا  
 قوله تعالى « لتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ » وقول  
 النبي صلى الله عليه وسلم حين وقف على القبور وإنا إن شاء الله  
 بكم لاحقون . يريد إذا شاء الله ومنه قول الشاعر

فإِلا يَكُنْ جِسْمِي طَوِيلاً فَاتِي      له بالفعال الصالحات وصول (١)  
 معناه فإذا لم يكن جسمي طويلاً فاني أطيله بالأفعال

(١) البيت لرجل من الفزاريين وهو في الحماسة هكذا

الآ يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلاً فَاتِي      له بالحصل الصالحات وصول

الحسان ولا يصح الشرط ههنا لأن قصر جسمه شيء قد كان  
وقع والشرط ههنا محال ومثله قول الآخر

فإن أك قد فارقت نجداً وأهله فساء عهد نجد عندنا بذيهم

وأما وقوعه إذا بمعنى أن فكقول أوس بن حجر<sup>(١)</sup>

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والحنأ أصبت حلماً أو أصابك جاهل  
والاعراض عن الحنأ ممكن أن يكون وممكن أن

لا يكون فليس هذا من مواضع إذا وإنما هو من مواضع إن

وأما ورود المدح في صورة الذم فكقولهم أخزاه الله

ما أشمره ولعنه الله ما أفصحه وقول كعب بن سعد الغنوي<sup>(٢)</sup>

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا وماذا برد الليل حين يؤوب

وبعده

ولا خير في حسن الجسوم ونيلها إذا لم تزن حسن الجسوم عقول

١٥ الصواب أن هذا البيت لزهير بن أبي سلمى من قصيدة يمدح بها

هرم بن سنان ومطلعها

لسلمى بشرقي القنان منازل ورسم بصحراء اللببئين حائل

القنان جبل لبني أسده وحائل يعني أتى عليه الحول

٢٥ في صرنيته لأبي المغوار وقد تقدم منها أبيات

وذكر ابن جنبي ان اعرابياً رأى ثوباً فقال ما له محقه الله  
قال فقلت له لم تقول هذا فقال اذا استحسننا شيئاً دعونا عليه .  
وأصل هذا أنهم يكرهون أن يمدحوا الشيء فيصيرونه بالعين  
فيعدلون عن مدحه الى ذمه

واما ورود الذم في صورة المدح فكذلك قوله تعالى « إنك لانت  
الحليم الرشيد » وقول الشاعر

وقلت لسيدنا يا حليم انك لم تأس أسوأ رفيقا

واما التليل الوارد بصورة النكثير فنحو قولك كم بطل  
قتل زيد وكم ضيف نزل عليه وأنت تريد أنه لم يقتل بطلا قط  
ولا قرى ضيفا قط والكنك تقصد الاستهزاء به كما تقول  
للبخيل يا كريم وللأحمق يا عاقل

وأما النكثير الوارد بصورة التليل فنحو قولك رب ثوب  
حسن قد لبست ورب رجل عالم قد لقيت فتقال ما لبست من  
الثياب ومن لقيت من العلماء تواضعا ليكون أجل لك في النفوس  
لأن الرجل اذا حقر نفسه تواضعا ثم اختبر فوجد أعظم مما  
وصف به نفسه عظم في النفوس واذا تماظم وأنزل نفسه فوق  
منزلتها ثم اختبر فوجد أقل مما قال استخف به وهان على كل

من كان يعظمه وقد يستعمل تقليل الشيء وهو كثير في الحقيقة  
لضروب من الأغراض والمقاصد كالرجل يهدد صاحبه فيقول  
لا تعادني فر بما ندمت وهذا مكان ينبغي أن تكثر فيه الندامة  
وليس بموضع تقليل وإنما تأويله أن الندامة على هذا لو كانت  
قليلة لوجب أن يتجنب ما يؤدي إليها فكيف وهي كثيرة فصار  
فيه من معنى المبالغة ما ليس في التكثير لو وقع ههنا  
ومن هذا قوله تعالى «رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لو كانوا  
مسلمين» وإنما تأتي رب بمعنى التكثير في مواضع الافتخار  
والوجه في ذلك أن المفتخر يريد أن الأمر الذي يقل وجوده  
من غيره يكثر وجوده منه فيستعير لفظ التقليل في موضع  
التكثير إشارة إلى هذا المعنى وليكون أبلغ في الافتخار. وقد  
يؤم قوم إن رب للتكثير حين خفي عليهم ما ذكرناه من تداخل  
المعاني وهذه غفلة شديدة لأننا نجد المدح يخرج مخرج الذم  
والذم يخرج مخرج المدح ولا يخرجهما ذلك عن موضوعهما الذي  
وضعا عليه في أصل وضعهما كما أن الاسم العلم الذي وضع في  
أصل وضعه للخصوص قد يمرض له العموم والنكرة التي وضعت  
في أصل وضعها للعموم قد يمرض لها الخصوص ولا يبطل ذلك

وضعهما الذي وضعا عليه أولا وإنما ذلك لكثرة المعاني وتداخلها  
 واختلاف الأغراض وتباينها فتى وجدت شيئا قد خالف أصله  
 فانما ذلك لسبب و غرض فيجب لك أن تبحث عنه ولا تتسرع  
 الى بعض الأصول دون تثبيت وتأمل فمن مشكل هذا الباب  
 قول أبي كبير الهذلي

أزهير ان يشب القذال فاتي رُبَ هيضل (١) مرس لفتت بهيضل  
 زهير هاهنا ترخيم زهيرة وهي ابنته فلذلك فتح الراء

ورُبَ ههنا مخففة من رُبَ وقول أبي عطاء (٢) السندي

فان تمس مهجور الفناء فربما أقام به بعد الوفود وفود

والمراد بهذين البيتين التكثير والكن خراجا مخرج التقليل  
 ليكون امدح والمعنى ان هذا لو كان قليلا لكان فيه فخر لصاحبه  
 فاظنك به وهو كثير ويحتمل قول أبي عطاء السندي أن يكون  
 أراد تقليل مدة حياة المرثي التي كثرت فيها عليه الوفود فعلى  
 نحو هذه التأويلات فتأول ماورد مخالفا للأصول وملاك هذا

(١) ويروى رُبَ هيضل بسكون الباء وهيضل الجماعة ومرس اي مجتمع

(٢) من مخضرمي الدولتين اسمه أفلح مولى غزير بن سماك بن حصين

وهذا البيت من قصيدة له يرثي بها عمر بن هبيرة الفزاري

الباب معرفة الحفيقة والمجاز وهو باب يدق على من لم يتمر في هذه الصناعة فلذلك ينكر كثيراً مما هو صحيح والله درأبي الطيب المنبني حيث يقول

وكم من عائب قولاً صحيحاً و آفة من الفهم السقيم  
ولكن تأخذ الآذان منه على قدر القرائح والعلوم

ومن ظريف المجاز العارض من طريق التركيب ايقاعهم ادوات المعاني على السبب ومرادهم المسبب تارة وتارة يوقعونها على المسبب ومرادهم السبب وانما يفعلون هذا لتعلق أحدهما بالآخر فمثال الاول قوله تعالى «وَلَا تَتُوبُنَّ إِلَّا أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» فأوقع النهي على الموت في اللفظ والموت ليس بفعل لهم فيصح نهيهم عنه وانما نهيهم عن مفارقة الاسلام فمعناه لا تفارقوا الاسلام حتى تموتوا عليه فأوقع النهي على الموت لانه السبب الذي من أجل توقعه وخوفه يلزم الانسان أن يستعد لوروده ويتأهب له بصالح عمله والثاني مثل قوله تعالى «فَمَا تَتَّعِبُهُمْ شِفَاعَةُ الشَّافِعِينَ» وليس المراد اثبات شفاعه غير نامة لانه لا شفاعه هناك في الحقيقة بدليل قول تعالى «فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ» فأوقع النهي على المنفعة التي هي المسبب ومراده تعالى الشفاعه

التي هي السبب فكانه قال فما تكون شفاعة فتكون منعمة ونحوه قولك ما نفني كلام زيد فهذا كلام يحتمل معنيين أحدهما أن تريد إثبات الكلام ونفي المنفعة وحدها والثاني أن تريد نفيها معاً أي لم يكن منه كلام فيكون منعمة ومثله قول امرئ القيس . على لا حب لا يهتدي بمناره <sup>(١)</sup> . ولم يرد إثبات المنار ونفي الهداية به ولو كان ثم منار لكنت ثم هداية وإنما المعنى ليس به منار فيكون هداية

ومن هذا قول العرب لا أرنيك ههنا أي لا تكونن ههنا فاني أراك فالمراد بالنهي الكون لا الرؤية ونحوه قول النابغة لأعرفن ربباً حوراً مدامعها كأن أبارها نعاج دؤار <sup>(٢)</sup> فعلى هذا مجرى الباب والله أعلم

(١) تمته . إذا سافه العود النباطي جرجرا . اللاحب الطريق الواضح . وسافه شمّه والعود الجمل المسنّ والنباطي نسبة للنبطويروي الديافي نسبة الي دياف قرية بالشام تنسب اليها النجائب . والجرجرة صوت الفحل من الابل اذا ضجر

(٢) هذا البيت من قصيدته التي أولها

عوجوا فخيوا نعم دمنة الدار ماذا تحيئون من نوي وأحجار  
نعم اسم التي يتغزل بها والنوي اسم للحفرة التي تمخر حول الحباء

### الباب الثالث

﴿ في الخلاف العارض من جهة الافراد والتركيب ﴾

هذا باب ظريف جداً وقد تولدت منه بين الناس أنواع كثيرة من الخلاف وهو باب يحتاج الى تأمل شديد وحقق بوجوه القياس ومعرفة تركيب الألفاظ وبناء بعضها على بعض وذلك أنك تجد الآية الواحدة ربما استوفت الغرض المقصود بها من التعبد فلم تحوجك الى غيرها كقوله تعالى « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ » و « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » وقوله تعالى « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ » فان كل واحدة من هذه الآيات قائمة بنفسها مستوفية للغرض المراد منها وكذلك الاحاديث الواردة كقوله . الزعيم غارم والبيته على المدعي واليمين على المدعي عليه . وربما وردت الآية غير

لئلا يدخله ماء المطر . والربرب القطيع من الغزلان وعنى به جماعة النساء . وهوراً مدامها أي حور عيونها والخور في العيون شدة بياض بياضها وسواد سوادها . ودؤار اسم صنم ونعاجه النساء اللاتي تدور به

مستوفية للغرض المراد من التعبد وورد تمام الغرض في آية  
أخرى وكذلك الحديث كقوله تعالى « مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ  
الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا  
وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ » فظاهر هذه الآية أن من أراد  
حَرْثَ الدُّنْيَا أُوتِيَ مِنْهَا وَنَحْنُ نَشَاهِدُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَحْرِصُونَ  
عَلَى الدُّنْيَا وَلَا يُؤْتُونَ شَيْئًا مِنْهَا هُوَ كَلَامٌ مَحْتَاجٌ إِلَى بَيَانٍ وَإيضاح  
ثُمَّ قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ  
لِمَنْ نُرِيدُ » فَإِذَا أُضِيفَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِلَى الْآيَةِ الْأُولَى بَانَ مَرَادُ  
اللَّهِ تَعَالَى وَارْتَفَعَ الْأَشْكَالُ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « وَإِذَا سَأَلَكَ  
عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ » ثُمَّ  
قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى « بَلْ إِنِّي آنَاءُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ  
إِنْ شَاءَ » فَدَلَّ اشْتِرَاطُ الْمَشِيئَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ عَلَى أَنَّهُ  
مَرَادُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى وَرَبَّمَا وَرَدَتْ الْآيَةُ مَجْمَلَةٌ ثُمَّ يفسرها  
الحديث كالأيات الواردة مجملة في الصلاة والزكاة والصيام والحج  
ثُمَّ شَرَحَتْ السُّنَّةَ وَالْآثَارَ جَمِيعَ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى « وَاللَّاتِي

يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسَكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا « ثم قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم. ولأجل هذا صار الفقيه مضطراً في استعمال القياس الى الجمع بين الآيات المفترقة وبين الاحاديث المتغايرة وبناء بعضها على بعض

ووجه الخلاف العارض من هذا الموضوع أنه ربما أخذ بعض الفقهاء بمفرد الآية أو بمفرد الحديث وبني آخر قياسه على جهة التركيب الذي ذكرنا بأن يأخذ بمجموع آيتين أو بمجموع حديثين أو بمجموع آيات أو بمجموع أحاديث فينفيهما الى الحال الى الاختلاف فيما ينتجانه وربما أفضت بهما الى التناقض فأحل أحدهما ما يحرمه الآخر وربما أفضى بهما الى الامر الى اختلاف العقائد فقط وربما أفضى بهما الى الاختلاف في الاسباب فقط كما خالفهم في سبب تحريم الخمر فان قوماً يستدلون على وجوب تحريمها بمجرد قوله تعالى « وَمَا آتَاكُمْ

الرسولُ نخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» وقوم يستدلون عليه بمجرد قوله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ » الى قوله « فهل أتم منتهون » وقوم يرون ذلك بطريق التركيبي وبناء الالفاظ بعضها على بعض وذلك أنه لما قال تبارك وتعالى « يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ » ثم قال في آية أخرى « قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ » تركب من مجموع الآيتين قياس أنتج تحريم الخمر وهو أن يقال كل إثم حرام والخمر إثم فالخمر إذا حرام ومثل هذا قوله تعالى فيما حكاه عن قوم لوط « أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ » ثم قال في هذه الآية التي ذكرناها « قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ » فتركب من مجموع الآيتين قياس وهو كل فاحشة حرام وفعل قوم لوط فاحشة ففعل قوم لوط إذا حرام. فعلى مثل هذا أنتجت النتائج وركبت القياسات ووقع بين أصحاب القياس الخلاف بحسب تقدم القياس أو بحسب تأخره وخالفهم قوم آخرون لم يروا القياس ورواوا الاخذ بظاهر

الالفاظ فنشأ من ذلك نوع اخر من الخلاف

ومما اختلف فيه أقوال الفقهاء لأخذ كل واحد منهم  
 بحديث مفرد اتصل به ولم يتصل به سواه ما روي عن عبد  
 الوارث<sup>(١)</sup> بن سعيد أنه قال قدمت مكة فألقيت بها أبا حنيفة  
 فقلت له ما تقول في رجل باع بيعاً وشرط شرطاً فقال البيع  
 باطل والشرط باطل فأتيت ابن أبي ليلى فسألته عن ذلك فقال  
 البيع جائز والشرط باطل فأتيت ابن شبرمة فسألته عن ذلك  
 فقال البيع جائز والشرط جائز فقلت في نفسي سبحان الله ثلاثة  
 من فقهاء العراق لا يتفقون على مسألة فعدت الى أبي حنيفة  
 فأخبرته بما قال أصحابه فقال ما أدري ما قال لك حدثني عمرو بن  
 شعيب عن أبيه عن جده قال نهى رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم عن بيع وشرط فالبيع باطل والشرط باطل فعدت الى  
 ابن أبي ليلى فأخبرته بما قال أصحابه فقال ما أدري ما قال لك  
 حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت  
 أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أشتري بربرة فأعتقها

البيع جائز والشرط باطل .<sup>(١)</sup> قال فعدت الى ابن شبرمة فأخبرته بما قال صاحباة فقال ما أدري ما قال لك حدثني مسعر ابن كدام عن محارب بن دثار عن جابر قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم بعيرا وشرط لي حملانه الى المدينة البيع جائز والشرط جائز . وقد ترد الآية أو الحديث بلفظ مشترك يحتمل تأويلات كثيرة ثم ترد آية أخرى أو حديث آخر بتخصيص ذلك اللفظ

(١) لم يذكر المصنف الحديث برؤيته وزيادة في الايضاح نذكر ما رواه الامام البخاري في صحيحه في باب الشروط في الولاة . عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت جاءتني بريرة فقالت كاتب أهلي على تسع أواق في كل عام أوقية فأعنيني فقلت ان أحبوا أن أعدّها لهم ويكون لي ولانك فعلت فذهبت بريرة الى أهلهما فقالت لهم فأبوا عليها فجاءت من عندهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فقالت اني عرضت ذلك عليهم فأبوا الا أن يكون الولاة لهم فأخبرت عائشة النبي صلى الله عليه وسلم فقال خذها واشترطي لهم الولاة فانما الولاة لمن اعتق ففعلت عائشة ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وان كان مائة شرط قضاء الله أحق وشرط الله أوثق وانما الولاة لمن اعتق اه

المشترك وقصره على بعض تلك المعاني دون بعض كقوله عز  
من قائل « وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى » فان لفظة الضلال لما كانت  
مشتركة تقع على معان كثيرة توهم قوم ممن لم يكن له فهم صحيح  
بالقرآن ولا معرفة ثاقبة باللسان انه اراد الضلال الذي هو ضد  
الهدى فزعموا انه كان على مذهب قومه اربعين سنة وهو  
خطأ فاحش نعوذ بالله من اعتقاده في من طهره الله تعالى  
لنبوته وارتضاه لرسالته ولو لم يكن في القرآن العزيز ما يرد قولهم  
لكان فيما ورد من الأخبار المتواترة ما يرد عليهم ذلك لأنه  
قد روى أنهم كانوا يسمونه في الجاهلية الأمين وكانوا يرتضونه  
حكماً لهم وعليهم وكانت عندهم أخبار كثيرة يروونها وإنذاراً  
من أهل الكتاب والكهان بأنه يكون نبياً ولولا أن كتابنا  
هذا ليس موضوعاً لها لاقتصصناها فكيف والقرآن العزيز  
قد كفانا هذا كله بقوله عز من قائل في سورة يوسف عليه  
السلام « نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ  
هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ » فهذا نص جلي  
في شرح ما وقع في تلك الآية من الابهام وبين انه تعالى إنما

أراد الضلال الذي هو الغفلة كما قال في مواضع أخرى « لا يضل ربِّي ولا ينسى » أي لا يغفل وقال تعالى « أن تضل احديهما فتذكر احديهما الأخرى » أي تغفل<sup>(١)</sup> وقالت الصوفية معناه ووجدك محبا في الهدى فهداك فتأولوا الضلال هنا بمعنى المحبة وهذا قول حسن جداً وله شاهد من القرآن واللغة أما شاهده من القرآن فما حكاه الله تعالى من قول إخوة يوسف لا يهيم « تالله إنك لفي ضلالك القديم » انما أرادوا بالضلال هنا افراط محبته في يوسف صلى الله عليهم أجمعين وأما شاهده من اللغة فانه جائز في مذاهب العرب أن تسمى المحبة ضلالاً لأن افراط

(١) قال شيخنا العلامة الفهامة الاستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده

مفتي الديار المصرية في رسالة التوحيد عند هذا الموضوع ما نصه  
وما جاء في الكتاب من قوله « ووجدك ضالاً فهدى » لا يفهم منه أنه كان على وثنية قبل الاهتداء الى التوحيد أو على غير السبيل القويم قبل الخلق العظيم حاش لله إن ذلك هو الافك المين وانما هي الحيرة تلم بقلوب أهل الاخلاص فيما يرجون للناس من الخلاص وطلب السبيل الى ما هُودوا اليه من انقاذ الهالكين وارشاد الضالين وقد هدى الله نبيه الى ما كانت تتلمسه بصيرته باصطفائه لرسالته، واختياره من بين خلقه

المحبة يشغل المحب عن كل غرض ، ويحمله على النسيان والاغفال  
لكل واجب مفترض ، ولذلك قيل الهوى يعمي ويصم فسميت  
المحبة ضالا اذا كانت سبب الضلال على مذاهبهم في تسمية الشيء  
باسم الشيء اذا كان منه بسبب

ومن هذا الباب قوله سبحانه وتعالى في سورة نوح عليه  
السلام « أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ  
وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى » والآجل قد علمنا أنه لا تأخير فيه  
وقد بين ذلك بقوله في عقب الآية « إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ  
لَا يُؤَخَّرُ » وقال في موضع آخر « فَاذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ  
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ » فوجب أن ينظر في معنى هذا التأخير ما هو  
ثم وجدنا هذه الآية المبهمة المجملة قد شرحها آية واضحة  
مفصلة كفتنا التأويل ، ولم نحوجنا الى طلب الدليل ، وهي قوله  
تعالى في اول سورة هود عليه السلام « وَإِنْ أَسْتَعْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ  
تُوبُوا إِلَيْهِ يُتَعَفَّكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى » فدللت هذه  
الآية على أنه انما اراد بتأخير الاجل التمتع الحسن لان التمتع  
الحسن يجتمع فيه الفنى والسلامة من الآفات والعز والذكر  
الحسن والعرب تسمى هذه الاشياء زيادة في العمر وتسمى

اضدادها وخلافها نقصانا من العمر وقد جاء في بعض الحديث  
أن موسى عليه السلام شكأ الى الله تعالى بمدوله فاوحى الله تعالى  
اليه انى ساميته فلما كان بعد زمن رآه فقيراً ينسج الحصير فقال  
يارب ألم تعدني أن تميته فقال أو ليس قد أفقرته

وقد تعين علينا في هذا الموضوع أن نذكر على كم معنى  
تصرف الحياة والموت في اللسان العربي لبيان ما ذكرناه  
بشواهد حتى لا يبقى فيه لطاعن مطمئن بحول الله تعالى

إعلم أن الحياة والموت لفظتان مشتركتان تستعملان في  
اللغة العربية على ثلاثة عشر وجهاً (أحدها) الوجود والعدم  
(والثاني) مقارنة النفس الحيوانية للأجسام ومفارقة اياها  
(والثالث) العز والذل (والرابع) الغنى والفقر (والخامس)  
الهدى والضلال (والسادس) العلم والجهل (والسابع) الحركة  
والسكون (والثامن) الحصب<sup>(١)</sup> والجذب (والتاسع) اليقظة

(١) بكسر الحاء . قال بعض اللغويين ثلاث مكسورات خير من ثلاث  
مفتوحات العلم خير من الجهل والحصب خير من الجذب والسلم خير من  
الحرب . على ان السلم جاء بالفتح في قراءة نافع امام أهل المدينة في قوله  
تعالى « وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ » الخ الآية

والنوم (والعاشر) اشتعال النار وخبورها (والحادى عشر) المحبة  
والبغضاء (والثاني عشر) الرطوبة واليبس ( والثالث عشر )  
الرجاء والخوف . ونحن نورد على كل وجه من هذه الوجوه  
أمثلة تشهد بصحة ما قلناه ان شاء الله تعالى

أما الحياة والموت المراد بهما مقارنة النفوس للاجسام  
ومفارقة اياها فشرتهما تفني عن ايراد مثال لهما  
وأما الوجود والعدم فكأنو لهم للشمس ما دامت موجودة  
حية فاذا عدت سموها ميتة قال ذو الرمة

فلما رأين الليل والشمس حية<sup>يت</sup> حياة الذي يقضي حشاشة نازع  
شبه الشمس عند غروبها بالحي الذي يوجد بنفسه عند  
الموت وهو من التشبيه البديع وقال آخر

إذا شئت أداني صرُومٌ مشيعٌ ممي وعقام تتقي الفحلُ مقلتُ (١)  
يطوف بها من جانبها ويتقي بها الشمس حي في الأكارع مبيت  
يريد ظلها في نصف النهار أراد أنه موجود في الأكارع  
معدوم في سائر الجسم

وأما العز والذل والفقر والغنى فنحو ما قدمناه من

(١) الصرُوم في البيت يريد به قلبه . والعقام التافة العاقر والمقلت التي  
لا يعيش لها ولد والأكارع جمع كراع وهو مستدق الساق العاري من اللحم

حديث موسى عليه السلام ونحو ما روي عن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم من قوله . من سرته النساء في الاجل والسمة  
في الرزق فليصل رحمه . ومنه قول الشاعر<sup>(١)</sup>

ليس من مات فاستراح يميت      إنما الميتُ ميتُ الأحياء  
إنما الميتُ من يعيش كثيراً      كاسفاً بالله قليل الرجاء  
وقال آخر<sup>(٢)</sup>

فأنشوا عينا لا أباً لابيكم      بأفعالنا ان التناء هو الخلد

وقال آخر

وكان أبو عمرو معاراً حياته      بعمره فلما مات مات أبو عمرو  
يقول كان ابنه عمرو يحيي ذكره فكأنه حي فلما مات  
انقطع ذكره فكأنه انما مات حينئذ

(١) هو عدي بن الرعلاء الغساني شاعر جاهلي وهذا البيت من

قصيدة له ومطلعها

ربما ضربة بسيف صقيل      بين بصرى وطمنة نجلاء

(٢) هو الحويدرة الذبياني جاهلي شاعر مفلح مقل ويقال له

الحادرة أيضاً واسمه قطبة بن اوس وهذا البيت من أبيات له مذكورة

في الاغاني واولها

ونحن منعنا من تميم وقد طغت      مراعي الملا حتى تضمنها نجد

قال صاحب الاغاني كان حسان بن ثابت اذا قيل له تنوشدت الاشعار

وأما ما يراد به الهدى والضلال والعلم والجهل فكقوله  
 تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ  
 لِمَا يُحْيِيكُمْ » وقوله عز وجل « أَوْ مِنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ » المعنى  
 أو من كان ضالاً فهديناه وجاهلاً فعلمناه وتقول العرب للذكي  
 النبيه حى وللبليد النبي ميت وقال لقمان لابنه يا بني جالس  
 العلماء وازحمهم بركبتك فان الله يحيي القلب الميت بالكلمة من  
 الحكمة يسمعها كما يحيي الارض بالمطر

وأما الحياة والموت المراد بهما الحركة والسكون فنحو قول الراجز  
 قد كنت أرجو أن يموتَ الريحَ فآرقذَ اليومَ وأستريحَ  
 فجعل هبوب الريح حياة وسكونها موتاً وقال المجنون  
 يموت الهوى منى اذا ماتقيها ويحيا اذا فارقتها فيعود  
 وقال آخر

ومجلودة بالسوط فيه حياتها فان زال عنها الجلد بالصوت ماتت  
 يعني الدوامه<sup>(١)</sup>

في موضع كذا وكذا يقول فهل أنشدت كلمة الحويدرة

بكرت سمية بكرة قمتي وغدت غدو مفارق لم يربح

قال أبو عبيدة وهي من مختار الشعر أصمعية مفضلية هـ

(١) بالضم والتشديد وهي فلانة يرميها الصبي بنحيط فتدوم على الارض

وأما ما يراد به الحصب والجذب فان العرب تقول آتيت  
الارض فأحبيتها اذا وجدتها مخصبة ويقال أرض حية أي بالماء  
وأرض ميتة أي بغير ماء قال الله تعالى « فَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا »  
وقال الراجز

أقبل سيلٌ جاء من أمر الله      يخردُ حرد الحية المغلة (١)  
قال بعض أصحاب المعاني أراد بالحية الأرض المخصبة  
والمغلة ذات الغلة وتشهد لهذا التأويل رواية من روى الجنة  
بالجيم والنون . وقال آخرون إنما أراد بالحية نفسها والمغلة ذات  
الغل والحقد وشبه تلوي السيل وانعطافه في جريه بتلوي الحية  
وانعطافها اذا مشت وهذا نحو قول ذي الرمة

أي تدور اه صحاح

(١) قال المبرد في الكامل ذكر أبو عبيد أن أبا حاتم قال هذا البيت  
مصنوع صنعه من لا أحسن الله ذكره يعني قطرباً محمد بن المستنير قال  
ابن الشجري في أماليه قائل هذا الرجز إنما حذف الالف من لفظ  
الجلالة للضرورة وأسكن آخره للوقوف عليه ورقق لامه لانكسار  
ما قبلها ولو لم يأت على قافية البيت ( المغلة ) لأمكن أن يقول جاء من  
أمر الله فيثبت اللفه ويقف على الهاء بالسكون ه من خزانة الادب للبغدادي

بين حِفافِيْ جَدولِ مَسْجورِ (١) كَالسَّيْفِ أَوْ كَالْحَبِبةِ الْمَذْعورِ  
وَأَمَّا الْبِقْظَةُ وَالنَّوْمُ فَكَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى « اللَّهُ يُتَوَفَّى

الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا » فَسُمِّيَ النَّوْمُ  
وَفَاتَهُ. وَسَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ سَيْرِينَ عَنِ رَجُلٍ غَابَ عَنِ مَجْلِسِهِ فَقَالَ  
أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّهُ تَوَفَّى الْبَارِحَةَ فَلَمَّا رَأَى جِزْعَ السَّائِلِ قَرَأَ « اللَّهُ  
يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا » وَقَالَ الشَّاعِرُ

نَمُوتُ وَنَحْيَا كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ نَمُوتَ وَلَا نَحْيَا  
وَأَمَّا اشْتِعَالُ النَّارِ وَخُودُهَا فَمَشْهُورٌ مَتَعَارَفٌ أَيْضًا فَتَنَّهُ  
قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ يَصِفُ نَارًا اقْتَدَحَهَا

فَقُلْتُ لَهُ أَرْفَعُهَا إِلَيْكَ وَأُحْبِبُهَا بَرُوحُكَ وَاقْتَدَحْتُهَا قَيْتَهُ قَدْرًا  
وَقَالَ آخِرُ فِي مِثْلِهِ

وَزَهْرَاءُ إِنْ كَفَنَتْهَا فَهِيَ عَيْشُهَا وَإِنْ أَكْفَنَتْهَا فَهِيَ مَعْجَلُهَا  
يَعْنِي بِالزَّهْرَاءِ الشَّرْرَةَ السَّاقِطَةَ مِنَ الزَّيْتِ عِنْدَ الْإِقْتِدَاحِ  
يَقُولُ إِنْ بَادَرَتْ إِلَيْهَا عِنْدَ سَقُوطِهَا مِنَ الزَّيْتِ فَلَفَقَتْهَا فِي خَرْقَةٍ  
حَبِيبَةٍ وَأَنْ تَرَكَتْهَا مَاتَتْ وَطَفِئَتْ

وَأَمَّا الْحَيَاةُ وَالْمَوْتُ الْمُسْتَعْمَلَانِ بِمَعْنَى الْمَحَبَّةِ وَالْبَغْضَاءِ

(١) حِفافِيْ مِثْلُ حِفَافٍ وَهُوَ الْجَانِبُ • وَمَسْجورُ أَي مَمْلُوءُ

## فكقول الشاعر

أبلغ أبا مالك عني مغلاة (١) وفي العتاب حياة بين أقوام  
أي اذا تعاتبوا حيث المودة بينهم واذا تركوا العتاب  
ماتت المودة بينهم أي ذهبت وانقطعت وصاروا إلى البغضاء  
والتهاجر

وأما الرطوبة واليبس فكنحو ما ذهب إليه السدي في  
قوله تعالى « يَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ »  
قال معناه يخرج السنبلة الخضراء من الحبة اليابسة ويخرج الحبة  
اليابسة من السنبلة الخضراء وهذا راجع إلى معنى الحصب  
والجدب من بعض وجوهه ونحو نحوه قول ابن ميادة (٢)  
سحائب لأم صيف ذى صواعق ولا محرقات مأهن حميم  
اذا ما هبطن الأرض قد مات عودها يكن بها حتى يعيش هشيم  
وأما الرجاء والخوف فلا أذكر عليهما شاهداً غير قول  
أبي الطيب

(١) المغلاة الرسالة ورسالة مغلاة محمولة من بلد إلى بلد  
(٢) هو الرماح الغطفاني من شعراء الدولتين والصيف في البيت

تركتني اليوم في خجلة أموت مراراً وأحيا مراراً  
فهذه وجوه الحياة والموت في كلام العرب قد استوفينا  
أقسامها لما جرى من ذكر الآية المتقدمة ثم نرجع الى ما كنا  
فيه فنقول

إن من ظريف أمر هذا الباب أنه قد يتولد منه مقالتان  
متضادتان كاتاهما غلط ويكون الحق في مقالة ثالثة متوسطة بينهما  
ترتفع عن حد التقصير وتخط عن حد الغلو والافراط وإذا تأملت  
المقالات التي شجرت بين أهل ملتنا في الاعتقادات رأيت  
أكثرها على هذه الصفة وقد نهينا رسول الله صلى الله عليه  
وسلم على ذلك بقوله « دين الله بين العالي والمقصر »<sup>(١)</sup> فهذا  
تصريح منه بهذا الذي ذكرنا وتحذير منه وقال أيضاً خير  
الأمر أوساطها وقال رجل للحسن البصري رحمه الله علمني  
ديناً وسوطاً لا ساقطاً سقوطاً ولا ذاهباً فروطاً فقال أحسنت  
خير الأمور أوساطها . وهذا نوع يطول فيه الكلام إن  
ذهبنا الى تتبعه ولكننا نذكر منه شيئاً يستدل به على غيره

(١) وقوله صلى الله عليه وسلم « الحسنه بين السيتين » السيئة  
الاولى الافراط والسيئة الثانية التفريط

فمن ذلك أن قوماً لما خطر ببالهم أمر القدر والقضاء وأحبوا  
الوقوف على حقيقة ما ينبغي أن يعتقد في ذلك تأملوا القرآن  
العزير والحديث المأثور فوجدوا فيها أشياء ظاهرها الأجبار  
والإكراه كقوله تعالى « ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا  
يكونن من الجاهلين » وقوله « ختم الله على قلوبهم وعلى  
سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » وقوله « بل طبع الله عليها  
بكفرهم » في آيات كثيرة غير هذه ووجدوا في الحديث  
المأثور أيضاً نحو ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم . السعيد من  
سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه . فبنوا من  
هذا النوع من الآيات والأحاديث مقالة أصلوها على أن  
العبد مجبر ليس له شيء من الاستطاعة وصرحوا بأن من  
اعتقد غير هذا فقد كفر . وخطر ببال آخرين مثل ذلك وراوا  
مذهب هؤلاء فلم يرتضوه معتقداً لأنفسهم فتصفحوا القرآن  
والحديث فوجدوا فيها آيات أخر وأحاديث ظاهرها يؤم أن  
العبد مستطيع مفوض أمره إليه يفعل ما يشاء كقوله تعالى  
« ولا يرضى لعباده الكفر » وقوله « وأما تمودُ فهديناهم

فاستحبوا العمى على الهدى» وقوله «إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً» وقوله صلى الله عليه وسلم . كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه . وقوله . يقول الله تعالى خلقت عبادي خفياً<sup>(١)</sup> كلهم فاجتالهم الشياطين عن دينهم . فبنوا من هذا النوع من الآيات والاحاديث مقالة ثانية مناقضة للمقالة الأولى أصلوها على أن العبد مخير مفوض إليه أمره يفعل ما يشاء ويستطيع على ما لا يريد ربه تعالى الله عما يقوله الجاهلون علواً كبيراً . ثم عمدت كل فرقة من هاتين الفرقتين إلى ما خالف مذهبها من الآيات والاحاديث فطلبت له التأويل البعيد وردوا ما أمكنهم رده من الاحاديث المناقضة لمذهبهم وإن كان صحيحاً كمن يروم

(١) قال في لسان العرب أي طاهري الأعضاء من المعاصي لأنهم خلقهم مسلمين كلهم لقوله تعالى « هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن » وقيل أراد أنه خلقهم خفاء مؤمنين لما أخذ عليهم الميثاق « ألسنت بربكم » فلا يوجد أحد الا وهو مقر بأن له رباً وان أشرك به واختلفوا فيه . وقوله اجتالهم أي استخفهم فجألوا معهم ويروى فاجتالهم الشياطين أي نقاتهم من حال الى حال قال ابن الاثير والمشهور رواية الجيم اه

ستر ضوء النهار وبؤس بنيانه على شفا جرف هار  
ولما تأملت طائفة نائلة مقلتي الفرقتين معاً لم يرتضوا  
بواحدة منهما معقداً لانفسهم ورأوا انهما جميعاً خطأ لان  
المقالة الاولى تجوير للباري تعالى بأمر خلقه وتمجيز له عن  
اتمام مشيئته فيهم وكلتا الصفتين لا تليق بمن قد وصف نفسه  
بأنه احكم الحاكمين وأقدر القادرين ووصف نفسه جل جلاله  
بقوله « وَمَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَدْرِيهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ  
الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ » ورأوا  
أن الأخذ بالآيات والأحاديث الأولى ليس بأولى من الأخذ  
بالآيات والأحاديث الأخر وأن الحق انما هو في واسطة تنتظم  
الطرفين وتسلم من شناعة المذهبين واعتبروا القرآن والحديث  
ببصائر أصح من بصائر الفريقين فوجدوا آيات واحاديث تجمع  
شيتت المقالتين وتخبر بغلط الفريقين كقوله تعالى « وَلَوْلَا أَنْ  
ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرُكِنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا » وقوله في سورة  
يوسف عليه السلام « وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى  
بُرْهَانَ رَبِّهِ » وقوله « وَمَا تَشَاوُنُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ » فأثبت

للعبد مشيئة لا تتم إلا بمشيئته ربه تعالى ووجدوا الأمة مجمعة على  
 قولهم لا حول ولا قوة الا بالله وفي هذا اثبات حول وقوة للعبد  
 لايمان إلا بموثة الله اياه ووجدوا الأمة مجمعة على الرغبة الى الله  
 في العصمة والاستعاذة به من الخذلان وقولهم . اللهم لا تكنا  
 إلى أنفسنا فنعجز ولا إلى الناس فنضيع . وراوا الله تعالى قد  
 أثبت لنفسه في محكم وحيه علم غيب وعلم شهادة بقوله « عالم الغيب  
 والشهادة » فعلمه الغيب علمه بالاشياء قبل كونها وعلمه الشهادة  
 علمه بالاشياء وقت كونها واعتبروا أحوال الانسان التي وقع  
 فيها التكليف وأحواله التي لم يقع فيها تكليف فوجدوا الله تعالى  
 لم يأمره بان لا يبصر ولا يسمع ولا يأكل ولا يشرب على الاطلاق  
 انما أمره بان يستعمل الآلة التي يسمع بها ويبصر بها ويأكل في  
 بعض الاشياء ولا يستعملها في بعض فوجب أن يكون بين  
 الامرين فرق ولا فرق ههنا الا انه يمكن من أحد الامرين  
 وجعلت له استطاعة عليه ولم يمكن من الآخر . وكذلك راوا  
 حركة يد المفالوج تخالف حركة يد الصحيح فثبت أن بينهما فرقا  
 ولا فرق إلا وجود الاستطاعة على وجه لا يقتضي ما توهمته القدرية  
 من التفويض ووجدوا مع هذا أحاديث تؤيد بطلان قول

الفریقین معا وتدل علی أن الحق متوسط بین غلوا أحد الفریقین  
وتقصیر الآخر کنحو ماروی عن جعفر الصادق رضی الله عنه  
أن رجلا قال له هل العباد مجبرون فقال جعفر الله أعلم من  
أن یجبر عبده علی معصية ثم یعذبه علیها فقال له السائل فهل  
أمرهم مفوض الیهم فقال الله أعز من أن یجوز فی ملکة ما لا یرید  
فقال له السائل فكیف ذلك إذا قال أمر بین الأمرین لا جبر  
ولا تفویض . وکنحو ماروی عن علی رضی الله عنه أنه لما  
انصرف من صفین قام الیه شیخ فقال یا أمیر المؤمنین أرایت  
مسيرنا الی صفین أبقضاء وقدر فقال علی رضی الله عنه والله  
ما علونا جبلا ولا هبطنا وادیا ولا خطونا خطوة الا بقضاء وقدر  
فقال الشیخ فعند الله احتسب عنائی إذا مالی من أجر فقال له  
علی مه یا شیخ فان هذا قول أولیاء الشیطان وخصماء الرحمن  
قدریة هذه الامة ان الله امر تخییرا ونهی تحذیرا لم یعص مغلوبا  
ولم یطع مکرها فضحك الشیخ ونهض مسرورا ثم قال  
أنت الامام الذی نرجو بطاعته يوم القيامة من ذی العرش رضوانا  
أوضحت من دیننا ما كان ماتبسا جزاک ربک عنا فیہ احسانا  
وقد روي عن ابن عباس رضی الله عنه نحو مقالة جعفر .

فلما وجدوا جميع هذا الذي ذكرناه جمعوا الآيات والاحاديث  
وبنوا بعضها على بعض فانتج لهم من مجموعها مقالة ثالثة سليمة  
من شناعة المقالتين منتظمة لكل واحد من الطرفين ارتفعت  
عن تقصير الجبرية وانحطت عن غلو القدرية فوافقت قوله  
صلى الله عليه وسلم . دين الله بين العالي والمقصر . بنوا تفريعها  
على أصل جمل الفرض منه أن لله تعالى علم غيب سبق بكل  
ما هو كائن قبل كونه ثم خلق الانسان فجعل له عقلا يرشده  
واستطاعة يصح بها تكليفه ثم طوى علمه السابق عن خلقه  
وأمرهم ونهاهم وأوجب عليهم الحجة من جهة الامر والنهي  
الواقعين عليهم لا من جهة علمه السابق فيهم فهم يتصرفون بين  
مطيع وعاص وكلهم لا يمدو علم الله السابق فيه فمن علم الله تعالى  
منه أنه يختار الطاعة فلا يجوز أن يختار المعصية ومن علم أنه يختار  
المعصية فلا يجوز أن يختار الطاعة ولو جاز ذلك لم يكن علم الله  
تعالى موصوفاً بالكمال ولكان كعلم المخلوقين الذي يمكن ان  
يقع كما علم ويمكن أن يقع بخلاف ما علم وليس في علم الله الامور  
قبل وقوعها إجبار على ما توهمه المجبرون ولا يتم لاحد استطاعة  
على ما يهيم به من الامور الابان يعينه الله عليه أو يكاه الى حوله

ويسلمه اليه فإن عصمه مما بهم به من الماصي كان فضلا وان  
وكله الى نفسه كان عدلا فاذا اعتبرت حال العبد من جهة  
الاضافة الى علم الله السابق فيه الذي لا يمدوه وجد في صورة  
المجبر واذا اعتبرت حاله من جهة الاضافة الى الاستطاعة  
المخلوقة له والامر والنهي الواقعين عليه وجد في صورة المفوض  
إليه وليس هناك اجبار مطلق ولا تفويض مطلق انما هو أمر  
بين أمرين يدق عن أفكار المعتبرين ويحير أذهان المتأملين  
وهذا هو معنى ما أشار اليه حذاق أهل السنة رحمهم الله من  
قولهم ان العبد لا مطلق ولا موثق فما ورد من الآيات  
والاحاديث التي ظاهرها الاجبار فهو مصروف الى أحد ثلاثة  
أشياء إما ان العلم السابق الذي لا يخرج للعبد منه ولا يمكنه  
ان يتخير غيره واما الى فعل فعله الله تعالى به على جهة العقاب  
كقوله تعالى « بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ » وإما الى الاخبار  
عن قدرته تعالى على ما يشاء كقوله تعالى « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ  
عَلَى الْهُدَى » وما ورد من الآيات والاحاديث ظاهره التفويض  
فهو مصروف الى الامر والنهي الواقعين عليه وانما غلظت  
القدرية في هذا لانهم لا يثبتون لله تعالى علما سابقا بالامور

قبل وقوعها وعلم الله عندهم محدث تعالى الله عما يقول الجاهلون  
علواً كبيراً

ورأى المشيخة<sup>(١)</sup> وجلة العلماء الوقف عن الكلام في ذلك  
والخوض فيه لقوله صلى الله عليه وسلم . اذا ذكر القضاء  
فأمسكوا . فكان هذا المذهب أحسن المذاهب لمن آثر الخلاص  
والسلامة وهذه جملة قليلة تفصيلها كثير وهو باب ضيق المجال  
جداً والخائض فيه تسبق اليه الظنة بغير ما يمتقده فلذلك  
تحمى الكلام فيه بأكثر مما نهنأ عليه مع أننا لم نضع كتابنا  
هذا للخوض في المقالات إنما وضعناه لتبيين المواضع التي نشأ منها  
الخلاف ولكننا نقول ينبغي لمن طلب هذا الشأن ولم يقنعه  
ما رآه العلماء وأمرؤا به من ترك الخوض فيه أن يراعي أصابن  
فان صحاله من معتقده فليعلم أنه قد أصاب فصّ الحق وان  
اخطأها أو واحداً منها فليعلم أنه قد غلط فليراجع النظر  
(أحدهما) أنه لا فاعل على الحقيقة الا الله تعالى وأن كل فاعل  
غيره إنما يفعل بمعونة من عنده ومادة يمدّه بها من فيضه  
وحوله ولو وكله الى نفسه لما كان له فعل البتة ( والثاني ) ان



### الباب الرابع

﴿ في الخلاف العارض من جهة العموم والخصوص ﴾

هذا الباب نوعان (أحدهما) يعرض في موضوع اللفظة المفردة (والثاني) يعرض في التركيب فأما الذي يعرض في موضوع اللفظة المفردة فنحو الانسان فإنه يستعمل عموماً وخصوصاً أما العموم فكقوله تعالى « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم » وقوله « إن الانسان لفي خسر » ويدل على أنه لفظ عام لا يخص واحداً دون آخر قوله « إلا الذين آمنوا » فاستثنى منه ولا يستثنى الا من جملة ونحو هذا قول العرب أهلك الناس الدينار والدرهم وقولهم الملك أفضل من الانسان والانسان متعبد دون سائر الحيوانات

والخصوص نحو قولهم جائي الانسان الذي تعلم واقيت الرجل الذي كلمك وقوله شربت الماء واكلت الخبز ولم يشرب جميع الماء ولا أكل جميع الخبز وهذا كثير مشهور تعني شهرته عن الاكثار منه . وقد يأتي من هذا الباب في القرآن العظيم والحديث أشياء يتفق الجميع على عمومها أو على خصوصها

وأشياء يقع فيها الخلاف

فمن العموم الذي لم يختلف فيه قوله تعالى « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ » و « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ » وقول النبي صلى الله عليه وسلم . الزعيم غارم واليمنة على المدعي واليمين على المدعى عليه . ونحو ذلك كثير

ومن الخصوص الذي لم يختلف فيه قوله تعالى « الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ » وهذا القول لم يقفه جميع الناس وإنما قاله رجل واحد وهو نعيم بن مسعود ولا جمع لهم جميع الناس وإنما جمع لهم جزاءً منه

ومما وقع فيه الخلاف فاحتاج إلى فضل نظر قوله تعالى « إِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ بِحَسَبِ كَيْفِ اللَّهِ » قال قوم إن هذه الآية نزلت عموماً ثم خصصت بقوله صلى الله عليه وسلم . صُفِّحَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ نَفْسُهَا مَا لَمْ تَكَلِّمْ بِهِ أَوْ تَعْمَلْ . وروى عن عائشة رضی الله عنها أنها قالت هي خصوص في الكافر بحسبه الله بما أسرَّ وأعلن والقول الأول أصح لقوله تعالى بائر ذلك « فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ »

ولا خلاف في أن الكافر معذب غير مغفور له فدل هذا على أن الخطاب وقع عموماً لا خصوصاً ثم خصص بما ذكرناه ومن ذلك قوله تعالى « كل له قانتون » قال قوم هذا خصوص في أهل الطاعة واحتجوا بأن كلاً وان كانت في غالب أمرها للعموم فإنها قد تأتي للخصوص كقوله تعالى « اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء » وقوله « ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها » ثم قال « فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم » وقال آخرون هي عموم واختلف القائلون بالعموم فقال قوم أراد أنهم مطيعون له يوم القيامة وهذا يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال آخرون مطيعون في الدنيا واختلف القائلون بالطاعة في الدنيا فقال بعضهم طاعة الكافر سجود ظلّه لله عز وجل واحتجوا بقوله تعالى **وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ طَوْعًا وَّكَرْهًا وَظَلٰلٰتِهِمْ بِالْغَدُوِّ وَالْاَصٰلِ** » وقال آخرون معناه أن كل ما خلق الله تعالى ففيه أثر للصنعة قائم وييسم<sup>(١)</sup> للعبودية شاهد أن له خالقاً حكيماً

(١) الميسم اسم للآلة التي يوسم بها واسم لأثر الوسم أيضاً وهو المراد هنا كقول الشاعر

لان أصل القنوت في اللغة القيام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل أي الصلاة أفضل فقال طول القنوت فالخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم قائمون بالعبودية إما اقراراً بالسنتهم وإما بآثار الصنعة البينة فيهم

ومن هذا الباب قوله تعالى « لا إكراه في الدين » قال قوم هذا خصوص في أهل الكتاب لا يكرهون على الاسلام اذا أدوا الجزية وهو قول الشعبي وكان ابن عباس رضي الله عنهما يراه أيضاً خصوصاً وفسره فقال معناه أن المرأة من الانصار كانت لا يعيش لها ولد فتذر على نفسها لئن عاش ولدها لتهودته فلما أُجلى بنو النضير اذا فيهم ناس من أبناء الانصار فقال الانصار يا رسول الله ابناؤنا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال قوم هي عموم ثم نسخت بقوله عز وجل « جَاهِدِ الْكُفْرَانَ وَالْمَنَافِقِينَ »

ومن هذا الباب قوله تعالى « علم الانسان ما لم يعلم » فذهب قوم الى انه خصوص واختلفوا في حقيقة ذلك فقال

ولو غير أخوالي أرادوا تقيصتي جعلت لهم فوق العرائن ميسما  
وأصل ميسم مؤسم قلبت الواو ياءً لكسرة الميم

بعضهم أراد آدم صلى الله عليه وسلم واحتجوا بقوله تعالى  
 « وعلم آدم الاسماء كلها » وقال بعضهم أراد محمداً صلى الله  
 عليه وسلم واحتجوا بقوله تعالى « وعلمك ما لم تكن تعلم »  
 وقال آخرون هي عموم في جميع الناس وهو الصحيح  
 ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم . المؤمن يأكل في  
 معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء . قال قوم هذا  
 خصوص<sup>(١)</sup> في جهجاه الغفاري ورد على النبي صلى الله عليه

(١) عرضت ما ذكره المؤلف ( رحمه الله ) هنا من تخصيص الحديث  
 في جهجاه الغفاري على شيخنا العلامة الفهامة المحقق الشيخ محمد محمود  
 ابن التلاميذ التركي الشنقيطي حفظه الله فأملى علي ما نصه  
 العجب كل العجب من قصور الأمام ابن السيد رحمه الله في اقتصاره  
 على حديث غريب تفرد به موسى بن عبيدة عن عبيد ومن عدم ذكره غير  
 جهجاه الغفاري فيظن من لا علم له بالحديث ورجاله ورواته وبالسيرة  
 والمغازي ورجالها ورواتها أن هذا الحديث لم يُرو أنه قيل لأحد غير  
 جهجاه والواقع في نفس الأمر غير ذلك فقد روى ابن اسحق في أوخر  
 سيرته أنه قيل في سيدنا ثمامة بن أثال الحنفي سيد أهل اليمامة وذكر  
 قصة أسره وإسلامه مستوفاة وقد خرج أهل الصحيح حديث إسلامه  
 وفيه أنه قال لاني صلى الله عليه وسلم ان تقُلُ تقُلُ ذا دم وان تنعم تنعم

وسلم يريد الاسلام فخلبت له سبع شياه فشرب لبنها ثم أسلم  
 فخلبت له شاة واحدة فكففته فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه  
 وسلم فقال هذه المقالة . وقال قوم انه عموم في كل كافر واختلفوا  
 في حقيقة معناه فقال قوم معناه ان المؤمن يسمي الله تعالى  
 على طعامه فيكون فيه البركة والكافر بخلاف ذلك وقال  
 آخرون انما ضرب هذا مثلاً لازهادة في الدنيا والحرص عليها  
 فجعل المؤمن لقناعته باليسير من الدنيا كالآكل في ممي واحد  
 والكافر لشدة رغبته في الدنيا كالآكل في سبعة أمعاء وهذا  
 القول أصح الأقوال ويشهد لصحته ما رواه أبو سعيد الخدري

على شاكر وان ترد المال تعطه فقال عليه الصلاة والسلام اللهم أكله  
 من جزور أحب الي من دم ثمامة فأطلقه فتطهر وأسلم وحسن اسلامه  
 ونفع الله به المسلمين كثيراً . وكذلك قد ذكر غير ابن اسحق انه هو  
 الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم « المؤمن يأكل في ممي واحد »  
 الحديث وهذا ذائع شائع مشهور بين أهل السير والمغازي وقال أبو  
 عبيد هو أبو بصرة الغفاري وروى ابن أبي شيبه في مسنده أنه جهجاه  
 الغفاري وحديثه غريب كما ذكرناه سابقاً وروى ثابت في الدلائل أن  
 اسم الذي قيل فيه هذا الحديث نضلة . وبهذا يعلم عدم طول باع الامام  
 ابن السيد . ( عفا الله عنه ) في الحديث والسير والمغازي هـ

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ان أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض ) فقال له رجل يا رسول الله هل يأتي الخير بالشر فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أنه يوحى اليه ثم مسح العرق عن جبينه وقال اين السائل فقال ها أنا ذا يا رسول الله فقال ان الخير لا يأتي الا بالخير ثلاثاً ولكن هذا المال خضرة حلوة وان مما يذبت الربيع ما يقتل حَبَطًا<sup>(١)</sup> أو يُلِمُّ الا آكلة الخضر تأكل حتى اذا امتلأت خاصرتاها استقبلت الشمس فبالت وتلطت ثم عادت فأكلت إن هذا المال خضرة حلوة من

(١) الحبط أن تأكل الماشية فكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ولا يخرج عنها ما فيها ويُلِمُّ مضارع ألم أي يقارب وتلطت أي سلحت رقيقاً ليناً . والخضر من العشب ما ليس من أحرار البقول . وفي هذا الحديث مثلاًن (أحدهما) للمفرط في جمع المال مع عدم بذله في حقه (والآخر) للمقتصد في جمع المال وبذله في حقه فقوله صلى الله عليه وسلم وان مما يذبت الربيع ما يقتل حَبَطًا هذا مثل الحريص والمفرط في الجمع والمنع وقوله صلى الله عليه وسلم الا آكلة الخضر الى قوله ثم عادت فأكلت هذا مثل المقتصد المحمود ه من لسان العرب باختصار

أخذه بحقه ووضعه في حقه فتم الممونة هو ومن أخذه بغير  
 حقه ووضعه في غير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع  
 ونحو من هذا أيضاً قول أبي ذر تخضمون وتقصم والموعد  
 الله . والخضم الأكل بالقم كفه فضر به مثلاً للرجبة في الدنيا  
 والقضم الأكل بأطراف الاسنان فضر به مثلاً للقناعة ونيل  
 البلغة من العيش وقيل الخضم أكل الرطب والقضم أكل  
 اليابس وهو نحو المعنى الأول

وقديأتي من هذا الباب ما موضوعه في اللغة على  
 العموم ثم تخصصه الشريعة كالتمتع فانها عند العرب اسم لسكل  
 شيء استمتع به لا يخص به شيء دون آخر ثم نقلت عن ذلك  
 واستعملت في الشريعة على ضربين (أحدهما) المتعة التي كانت  
 مباحة في أول الاسلام ثم نهي عنها ونسخت بالنكاح والولي  
 (والثاني) ما تمتع به المرأة من مهرها كقوله تعالى «ومتعهن  
 على الموسع قدره وعلى المقتر قدره» ولأجل هذا الذي ذكرناه  
 وقع الخلاف في قوله تعالى «فما استمتعتم به منهن فآتوهن  
 أجورهن فريضة» فكان ابن عباس رضي الله عنهما يذهب  
 بجمعناه الى المتعة الاولى وذهب جماعة الفقهاء الى أن المتعة

الاولى منسوخة وأن هذه الآية كالتى فى البقرة وأن معنى قوله « فآتوهن أجورهن » إنما المراد المهر والدليل على صحة قول الجماعة « فانكحوهن بائذن أهلهن وآتوهن أجورهن » فهذا المهر بالاجماع والله أعلم

### الباب الخامس

فى الخلاف العارض من جهة الرواية

هذا الباب لا تتم الفائدة التى قصدناها منه إلا بمعرفة العلل التى تعرض للحديث فتجلى معناه فربما أوهمت فيه معارضة بعضه لبعض وربما ولدت فيه اشكالا يحوج العلماء الى طلب التأويل البعيد ونحن نذكر العلل كم هى ونذكر من كل نوع منها مثالا أو أمثلة يستدل بها على غيرها ان شاء الله تعالى إعلم أن الحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه والتابعين لهم رضى الله عنهم تعرض له ثمان علة (أولها) فساد الاسناد (والثانية) من جهة نقل الحديث على معناه دون لفظه (والثالثة) من جهة الجهل بالإعراب (والرابعة) من جهة التصحيف (والخامسة) من جهة اسقاط

شيء من الحديث لا يتم المعنى إلا به (والسادسة) أن ينقل  
المحدث الحديث ويُغفل نقل السبب الموجب له أو يبسط الأمر  
الذي جرت ذكره (والسابعة) أن يسمع المحدث بعض الحديث  
ويفوته سماع بعضه (والثامنة) نقل الحديث من الصحف دون  
لقاء الشيوخ

### العدد الأول

وهي فساد الاسناد وهذه العلة أشهر العال عند الناس  
حتى أن كثيراً منهم يتوهم أنه إذا صح الاسناد صح الحديث  
وليس كذلك فإنه قد يتفق أن يكون رواة الحديث مشهورين  
بالمعدالة معروفين بصحة الدين والامانة غير مطعون عليهم  
ولا مستتراب بنقلهم ويعرض مع ذلك لأحاديثهم أعراض  
على وجوه شتى من غير قصد منهم الى ذلك على ما تراه في بقية  
هذا الباب ان شاء الله سبحانه وتعالى

والاسناد يعرض له الفساد من أوجه منها الارسال  
وعدم الاتصال ومنها أن يكون بعض رواة صاحب بدعة  
أو متهماً بالكذب وقلة ثقة أو مشهوراً ببله وغفلة أو يكون

متعصباً لبعض الصحابة منحرفاً عن بعضهم فإن كان مشهوراً  
 بالتعصب ثم روى حديثاً في تفضيل من يتعصب له ولم يرد  
 من غير طريقه لزم أن يستتاب به وذلك أن إفراط عصبية  
 الانسان لمن يتعصب له وشدة محبته بحمله على افعال الحديث  
 وان لم يفتعله بدّله وغير بعض حروفه كنجوما فعلت الشيعة  
 فانهم روى أحاديث كثيرة في تفضيل علي رضي الله عنه  
 ووجوب الخلافة له ينكرها أهل السنة مثل روايتهم أن نجماً  
 سقط على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انظروا  
 فقي منزل من وقع فهو الخليفة بعدي فنظروا فاذا هو قد  
 سقط في دار علي فأكثر الناس في ذلك الكلام فأنزل الله  
 تعالى « والنجم إذا هوى ما ضلّ صاحبكم وما غوى » فهذا  
 حديث لا يشك أحد ذواب في أنه مصنوع مركب على  
 الآية وكالذي فعلت المعتزلة فانهم تجاوزوا تفسير الحديث الى  
 أن راموا تفسير القرآن فلم يصح لهم ذلك في القرآن لإجماع  
 الأمة عليه وصح في كثير من الحديث ففسروا في المصحف  
 مواضع كثيرة كقراءتهم من شرّ ما خلق بالتنوين وقراءتهم  
 قال عذابي أصيب به من أساء بالسين غير معجمة وفتح الهذرة

وقالوا في قوله تعالى « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن  
والانس » أن معناه دفعنا وأنشدوا قول المثقب<sup>(١)</sup>

تقول اذا ذرأتُ بها وَصِيبي أهدا دينه أبدأ وديني  
وايس كما زعموا انما يقال في الدفع ذرأت بدل غير معجمة  
وكذلك روى بيت المثقب بدل غير معجمة وانما ذرأنا بالذال  
معجمة بمعنى خلقنا وقد روي عن بعضهم أنه قرأ ولقد ذرأنا

(١) هو المثقب العبدى شاعر جاهلي قديم كان في زمن عمرو بن  
هند قاله ابن قتيبة في كتاب الشعراء واسمه عائذ بن مِحْصَن بن نعلبة  
وسمي المثقب لقوله في هذه القصيدة

رددنَ تحيةً وكتمنَ أخرى وثقبن الوصاوص للعيون  
وأولها . أفاطمَ قبلَ بينك متعيني . وقد ذكرها المفضل في المفضليات  
وكان أبو عمرو ابن العلاء يقول لو كان الشعر كله على مثل هذه القصيدة لوجب  
على الناس أن يتعلموه . وقوله رددن تحية الخ قال ابن الأنباري أي أظهرن  
السلام ورددنه وكتمن أي سترن وهو ما برد من السلام بعين أو بيد  
وروي . ظهرن بكلة وسدلن أخرى . والكلمة ما يرى على الهودج شبه  
الستار والوصاوص البراقع الصغار جمع وصوص ويروي أيضاً  
أرين محاسناً وكنن أخرى من الاحياء والبشر المصون

وهذه الرواية ليس فيها الشاهد الذي سمي المثقب من أجله متقباً  
هـ من خزنة الأدب للبغدادي بزيادة

يالدال غير معجمة

ومما يبعث على الاسترابة بنقل الناقل أن يعلم منه حرص على الدنيا وتهافت على الاتصال بالملوك ونيل المسكنة والحظوة عندهم فإن من كان بهذه الصفة لم يؤمن عليه التغير والتبديل والافتعال للحديث والكذب حرصاً على مكسب يحصل عليه ألا ترى إلى قول القائل<sup>(١)</sup>

ولست وإن قُربت يوماً ببائعٍ خَلَاقِي وَلَا دِينِي ابْتِغَاءَ التَّحِيبِ  
ويعتده قوم كثير تجارةً ويمغني من ذلك ديني ومنصبي  
وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على نحو هذا الذي ذكرناه بقوله . إن الأحاديث ستكثر بعدي كما كثرت عن الأنبياء قبلي فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله فهو عني قوله أو لم أفله .

وقد روى أن قومًا من الفرس واليهود وغيرهم لما رأوا الإسلام قد ظهر وعمّ، ودوخوا أذلّ جميع الأمم، ورأوا أنه لا سبيل إلى مناصبته رجعوا إلى الحيلة والمكيدة فأظهروا الإسلام من غير رغبة فيه وأخذوا أنفسهم بالتعبد والتشفي

(١) من رجال باهلة العظام يخاطب عبد الملك بن مروان

فلما حمد الناس طريقهم وتذوا الاحاديث والمقالات وفرقوا  
الناس فرقا وأكثروا ذلك في الشيعة كما يحكى عن عبد الله بن  
سبأ اليهودي أنه أسلم واتصل بعلي رضي الله عنه وصار من شيعته  
فلما أخبر بقتله وموته قال كذبتهم والله لو جئتمونا بدماعه مصرورا  
في سبعين صرة ما صدقنا بموته ولا يموت حتى يملأ الارض  
عدلاً كما ملئت جوراً نجد ذلك في كتاب الله فصارت مقالة  
يعرف أهلها بالسبئية ويقال انه قال علي هو إله وانه يحيي الموتى  
وانما غاب ولم يمت .

واذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتشدد في الحديث  
ويتوعد عليه والزمان زمان والصحابة متوافرون والبدع لم  
تظهر والناس في القرن الذي أتى عليه رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فما ظنك بالحال في الأزمنة التي ذهبا وقد كثرت البدع  
وقلت الامانة ، وللبخاري ابي عبد الله رحمه الله في هذا الباب  
عناء مشكور . وسعى ببرور ، وكذلك لمسلم وابن معين فانهم  
انتقدوا الحديث وحرروه ونهوا على ضعفاء المحدثين والمتهمين  
بالكذب حتى ضج من ذلك من كان في عصرهم وكان ذلك  
أحد الاسباب التي أوغرت صدور الفقهاء على البخاري فلم

يزالوا يرددون له المكاره حتى أمكنتهم فيه فرصة بكلمة  
قالها فكفروه بها وامتحنوه وطرده من موضع الى موضع  
وحتى حمل بعض الناس قلته من ذلك على أن قال

ولابن معين (١) في الرجال مقالة سيئسئل عنها والمليك شهيد  
فان يك حقاً قوله فهو غيبة وان يك زوراً فالعقاب شديد  
وما أخلق قائل هذا الشعر بأن يكون دفع مغرمًا وأسراً  
حسنوا في ارتقاء (٢) لان ابن معين فيما فعل أجدر بأن يكون  
مأجوراً ممن أن يكون مأزوراً، والأ يكون في ذلك ملوماً

(١) هو الامام ابو زكريا يحيى بن معين المرّي البغدادي الحافظ  
المشهور صاحب اليد البيضاء في نقد الرجال قال فيه الامام أحمد بن حنبل  
كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس هو بحديث وقال ابن الرومي  
ما سمعت أحداً قط يقول الحق في المشايخ غير يحيى بن معين وغيره كأن  
يتحامل بالقول توفي سنة ٢٣٣ بالمدينة المنورة وكان بين يدي جنازته  
رجل ينادي هذا الذي كان ينفي الكذب عن حديث رسول الله صلى  
عليه وسلم هـ من تاريخ ابن خلكان

(٢) هذا مثل يضرب لمن يظهر أمراً وهو يريد غيره . قال الشعبي  
لمن سأله عن رجل قبل أم امرأته قال يسرّ حسوا في ارتقاء وقد حرمت  
عليه امرأته هـ من لسان العرب

بل مشكورا

## العلمة الثانية

وهي نقل الحديث على المعنى دون اللفظ بعينه وهذا الباب يعظم الغلط فيه جداً وقد نشأت منه بين الناس شُغوب شنيعة وذلك أن أكثر المحدثين لا يراعون الفاظ النبي صلى الله عليه وسلم التي نطق بها وإنما ينقلون إلى من بعدهم معنى ما أراده بالفاظ أخرى ولذلك نجد الحديث الواحد في المعنى الواحد يرد بالفاظ شتى ولغات مختلفة يزيد بعض الفاظها على بعض . على أن اختلاف الفاظ الحديث قد تعرض من أجل تكرير النبي صلى الله عليه وسلم له في مجالس عدة مختلفة وما كان من الحديث بهذه الصفة فليس كلامنا فيه وإنما كلامنا في اختلاف الالفاظ الذي يعرض من أجل نقل الحديث على

المعنى

ووجه الغلط الواقع من هذه الجهة أن الناس يتفاضلون في صورهم وأوانهم وغير ذلك من أمورهم وأحوالهم فربما اتفق أن يسمع الراوي الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم أو من غيره فيتصور معناه في نفسه على غير الجهة التي أرادها

وإذا عبر عن ذلك المعنى الذي تصوّر في نفسه بألفاظ أخر كان قد حدث بخلاف ما سمع من غير قصدٍ منه إلى ذلك وذلك أن الكلام الواحد قد يحتمل معنيين وثلاثة وقد تكون فيه اللفظة المشتركة التي تقع على الشيء وضده كقوله صلى الله عليه وسلم .  
 قصوا الشارب واعفوا اللحاً . فقوله اعفوا يحتمل أن يريد به كثروا ووفروا ويحتمل أن يريد به قللوا وخففوا فلا يفهم مراده من ذلك إلا بدليل من لفظ آخر والمعنيان جميعاً موجودان في كلام العرب يقال عفا وبرّ الناقة إذا كثرت وكذلك لجمها قال الله عز وجل « حتى عَفَّوْا » أي كثروا قال جرير<sup>(١)</sup>

ولكننا نعضُّ السيف منها بأسواق عافيات اللحم كوم  
 ويقال عفا المنزل إذا درس قال زهير . عفا من آل فاطمة

(١) تقدم في صحيفة ١٨ من هذا الكتاب أن صاحب لسان العرب عزى هذا البيت لليد بن ربيعة . وهو الصواب كما أفادنيه شيخنا العلامة الشيخ محمد محمود الشنقيطي . وأملى عليّ من هذه القصيدة آياتاً قبل هذا البيت وبعده يصف بها ليده نوقه وكرمه واقراءه للضيوف منها

إذا مادرتها لم يقر ضيفاً      ضمن له قراء من الشحوم  
 فلا تجاوز العضلات منها      إلى البكر المقارب والكزوم  
 ولكننا نعض السيف منها      بأسواق عافيات اللحم كوم

الجواء . ففي مثل هذا يجوز أن يذهب النبي صلى الله عليه وسلم الى المعنى الواحد ويذهب الراوي عنه الى المعنى الآخر فاذا أدّى معنى ما سمع دون لفظه بعينه كان قد روى عنه ضد ما أراده غير عامد ولو أدّى لفظه بعينه لا وشك أن يفهم منه الآخر ما لم يفهم الاول وقد علم صلى الله عليه وسلم أن هذا سيعرض بعده فقال محذرا من ذلك . نضر الله أمراً سمع مقالتي فوعاها وأدّاها كما سمعها فربّ . بلّغ أوعى من سامع . ومن نحو هذا ما روى عنه صلى الله عليه وسلم أن رجلاً جاءه فقال أيجوز اتيان المرأة في دبرها فقال نعم فلما أدبر الرجل قال ردوه عليّ فلما رجع قال في أي الحربتين <sup>(١)</sup> أردت أما من دبرها في قبلها فتم وأما من دبرها في دبرها فلا .

وقد غلط قوم في حديث عائشة رضي الله عنها في

وكم فينا اذا ما المحل أبدى نحاس القوم من سمح هضوم

يباري الريح ليس بجاني ولا دفر مروثه لثيم

اذا عد القديم وجدت فينا كرائم ما بعد من القديم

وجدت الجاه والآكال فينا وعاديّ المآثر والأروم

(١) الخربة الثقب . وفي رواية في أي الخرزتين أو في أي الخصفتين

يعني في أي الثقبين والثلاثة بمعنى واحد وكلها رويت ه لسان العرب

هذا المعنى . إذا حاضت المرأة حرم الجحزان . فتوهوا أن هذا الكلام ينفك منه جواز الايمان في الدبر وهذا غلط شديد ممن تأولوه وقد رواه بعضهم الجحزان بضم النون وزعم أن الجحزان الفرج ذكر ذلك ابن قتيبة والرواية الاولى هي المشهورة وليس في الحديث شيء مما توهوه وإنما كان يلزم ما قالوه لو كانت الطهارة من الحيض شرطاً في جواز ايمان المرأة في جحرها معاً فكان يلزم عند ذلك أن يكون ارتفاع الطهارة سبباً لتحريمها معاً كما كان شرطاً في تحليلها معاً فاذا لم يجدوا سبيلاً إلى تصحيح هذه الدعوى لم يلزم ما قالوه وإنما المعنى في حديث عائشة رضي الله عنها أن فرج المرأة يخالف دبرها في إباحة أحدهما وتحريم الآخر والاباحة التي خالفت بينهما معلقة بشرط الطهارة من الحيض فاذا ارتفع شرط الطهارة ارتفعت الاباحة التي كانت معلقة به فاستويا معاً في التحريم لارتفاع السبب الذي فرق بينهما وهذا كقول قائل لو قال اذا أسكر النبيذ حرم الشرابان يريد الخمر والنبيذ أي استويا في التحريم لأن النبيذ إنما خالف الخمر بشرط عدم الاسكار فلما ذهب السبب والشرط الذي فرق بينهما تساويا معاً في التحريم فكما أن هذا

القول لا يلزم منه إباحة الخمر قبل وجود الاسكار في النبيذ  
فكذا قول عائشة رضي الله تعالى عنها لا يلزم منه إباحة نكاح  
الدبر قبل وجود الحيض في الفرج ونظير هذا أيضاً لو أن  
رجلاً كان معه ثوبان أحدهما فيه نجاسة تحرم عليه الصلاة به  
والآخر طاهر يجوز له الصلاة به ثم أصاب الثاني نجاسة  
فقال له قائل قد حرمت عليك الصلاة بالثوبين إنما المراد أن  
الثوب الثاني قد صار مثل الأول في التحريم لعدم الشرط  
المفرق بينهما وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم  
ما ينحو نحو هذا وإن لم يكن مثله من جميع الوجوه وذلك  
ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من قوله . من سرّه أن يذهب  
كثير من وحر صدره فليصم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل  
شهر . يريد بشهر الصبر شهر رمضان وليس المراد أن شهر الصبر  
مباح الأكل فيه لمن لم يسره ذهاب وحر صدره وإنما معناه  
فليضيف إلى شهر الصبر الواجب صومه على كل حال ثلاثة أيام  
يصومها من كل شهر

ومن ظريف الغلط الواقع في اشتراك الألفاظ ما روي

من أن النبي صلى الله عليه وسلم وهب لعلي رضي الله عنه عمامة

تسمى السحاب فاجتاز علي رضي الله عنه متعمها بها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمن كان معه أما رأيتم عالياً في السحاب أو نحو هذا من اللفظ فسمه بعض المتشيعين لعلي رضي الله عنه فظن أنه يريد السحاب المعروفة فكان ذلك سبباً لاعتقاد الشيعة أن علياً في السحاب الى يومنا هذا ولذلك قال اسحق بن سويد الفقيه

برأت من الخوارج لست منهم من الغزّال (١) منهم وابن باب (٢)

«١» هو ابو حذيفة واصل بن عطاء المعتزلي المعروف بالغزّال مولى بني ضبة وقيل مولى بني مخزوم وهو أحد البلغاء المتكلمين واليه تنسب الفرقة الواصلية من المعتزلة توفي سنة ١٣١ وله مؤلفات عديدة هـ من تاريخ ابن خلكان

«٢» هو ابو عثمان عمرو بن عبيد بن باب المتكلم الزاهد المشهور مولى بني عقيل آل عرادة بن يربوع بن مالك . كان شيخ المعتزلة في وقته توفي سنة ١٤٤ بموضع يقال له مَرَّان ورثاه المنصور العباسي بقوله

صلى الإله عليك من متوسّد قبراً مررت به على مَرَّان

قبراً تضمن مؤمناً متحنفاً صدق الاله ودان بالعرفان

لو ان هذا الدهر أبقى صالحاً أبقى لنا عمراً أباعثمان

ولم يُسمع بخليفة يرثي من دونه سواه اهـ من تاريخ ابن خلكان

ومن قوم اذا ذكروا علياً      يردون السلام على السحاب  
ولكني أحب بكل قلبي      وأعلم أن ذلك من الصواب  
رسول الله والصديق حباً      به أرجو غداً حسن الثواب

وقد جعل بعض العلماء من هذا الباب الحديث المروي في خلق آدم على صورة الرحمن قالوا وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . خلق الله آدم على صورته . والهاء واجمة الى آدم فتوهم بعض السامعين انها عائدة على الله سبحانه وتعالى فنقله على المعنى دون اللفظ وهذا الذي قالوه لا يلزم وسننكم على هذا الحديث إذا انتهينا الى موضعه من هذا الباب إن شاء الله تعالى . فهذه أمثلة من هذا النوع تنبه على بقيته ان شاء الله تعالى

### العدة الثالثة

وهي الجهل بالإعراب ومباني كلام العرب ومجازاتها وذلك أن كثيراً من رواة الحديث قوم جهال باللسان العربي لا يفرقون بين المرفوع والمنصوب والمخفوض والعمري لو أن العرب وضعت لكل معنى لفظاً يؤدي عنه لا يلتبس بغيره لكان لهم عذر في ترك تعلم الأعراب ولم يكن بهم حاجة اليه

في معرفة الخطأ من الصواب . ولكن العرب قد تفرق بين  
المعتبين المتضادين بالحركات فقط واللفظ واحد ألا ترى أن  
الفاعل والمفعول ليس بينهما أكثر من الرفع والنصب فربما  
حدثت المحدث بالحديث فرقع لفظة منه ينوي بها أنها فاعلة  
ونصب أخرى ينوي بها أنها مفعولة فنقل عنه السامع ذلك  
الحديث فرقع ما نصب ونصب ما رفع جهلا منه بما بين  
الامرین فانعكس المعنى الى ضد ما أراد المحدث الأول .  
ألا ترى أن قوله صلى الله عليه وسلم . لا يُقتلُ قرشي صبراً  
بعد اليوم . اذا جزمت اللام من يقتل كان له معنى واذا رفعت  
كان له معنى آخر ولو أن قارئاً قرأ هو الاول والآخر ففتح  
الحاء لكان قد كفر وأشرك بالله واذا كسر الحاء آمن ووحّد  
فليس بين الايمان والكفر غير حركة ولذلك قال صلى الله عليه  
وسلم . رحم الله امرأً أصلح من لسانه . وقال عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه تعلموا الفرائض والسنة واللحن كما تتعلمون القرآن .

واللحن اللغة قال الشاعر

وما حاج هذا الشوق الآحامة      نبكت على خضراء سمر قيودها  
صدوح الضحى معروفة اللحن لم تنزل      تقود الهوى من مسعدٍ ويقودها

وكذلك قوله تعالى « هو الخالق الباري المصور » ليس  
 بين الايمان والكفر فيه غير فتح الواو وكسرها وكذلك قوله  
 تعالى « وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ » ولو أن رجلين تقدما الى  
 حكم يدعي أحدهما على صاحبه بثوب فقرره الحكم على ذلك  
 فانه ان قال ما أخذت له ثوب بالرفع أقرّ بالثوب على نفسه  
 ولزمه احضار ثوب وان قال ما أخذت له ثوبا فنصب لم يقرّ  
 بشيء ولزمته اليمين ان لم تقم عليه به بينة وكذلك لو قال رجل  
 لامرأته أنت طالق ان دخلت الدار فانه ان فتح الهمزة  
 طلقت عليه في ذلك الوقت وانما تطلق عليه فيما يستقبل ان  
 كان منها دخول الدار ويروى أن الكسائي رحمه الله كتب  
 اليه ما تقول في رجل قال

فان ترفقي يا هند فالرفق أيمن      وان تحرقني يا هند فالخرق أشم  
 وأنت طالق والطلاق عزيزة      ثلاث ومن يخرق أعق وأظلم

فقال الكسائي رحمه الله ان كان رفع المزيمة ونصب  
 الثلاث فهي ثلاث تطليقات وان كان نصب المزيمة ورفع  
 الثلاث فهي واحدة . يريد أنه اذا رفع المزيمة ونصب الثلاث  
 صار التقدير فانت طالق ثلاثا والطلاق عزيزة على التقديم

والتأخير واذا نصب العزيمة ورفع الثلاث لم ينو بثلاث التقديم  
وصار التقدير فأت طالق وتم الكلام ثم قال والطلاق في  
حال عزيمة المطلق عليه ثلاث فلم يكن في هذا الكلام ما يدل  
على أن هذا المطلق عزم على الثلاث فيقضى عليه بواحدة .  
وقد يمكن أيضاً أن يرفع الثلاث والعزيمة معاً فيكون التقدير  
فأت طالق ثلاث والطلاق عزيمة فيلزم من ذلك ثلاث  
تطبيقات والله أعلم

#### العلة الرابعة

وهي التصحيف وهذا أيضاً باب عظيم الفساد في الحديث  
جداً وذلك أن كثيراً من المحدثين لا يضبطون الحروف وانكسرهم  
يرسلونها ارسالاً غير مقيدة ولا مثقفة اتكالا على الحفظ فاذا  
غفل المحدث عما كتب مدة من زمانه ثم احتاج الى قراءة  
ما كتب أو قرأه غيره فربما رفع المنصوب ونصب المرفوع كما  
قلنا فانقلبت المعاني الى اضدادها وربما تصحف له الحرف بحرف  
آخر لعدم الضبط فيه فانعكس المعنى الى نقيض المراد به وذلك  
أن هذا الخط العربي شديد الاشتباه وربما لم يكن بين المعنيين  
المتضادين غير الحركة أو النقطة كقولهم بكرم بكسر الراء اذا

كان فاعلا ومكرم بفتح الراء اذا كان مفعولا ورجل أفرع بالفاء  
اذا كان تام الشعر وأفرع بالقاف لا شعر في رأسه وفي الحديث  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرع . وقد جاءت من هذا  
اللباب أشياء ظريفة من المحدثين نحو ما يروى عن يزيد بن  
هارون أنه روى . كنا جلوساً حول بشر بن معاوية وإنما هو  
حول<sup>(١)</sup> بسر بن معاوية . وكما روى عبد الرزاق يقاتلون  
خوزكرمان وإنما هو خوز بالزاي معجمة . وكما صحف شمعة  
التلبّ العنبري فرواه بشاء مثلثة مكسورة ولام ساكنة وإنما  
هو التلب بالتاء معجمة بأثنتين وكسر التاء واللام وتشديد الباء  
على وزن طمر<sup>(٢)</sup> ويدل عليه قول الشاعر

ان التلبّ له عرسٌ يمانية كأن فسوتها في البيت اعصارُ  
وروى بعضهم دخلت الجنة فرأيت فيها حباثل اللؤلؤ  
ولا وجه للحباثل ههنا لان الحباثل عند العرب الشباك التي

« ١ » وفي نسخة سرير ابن معاوية . وما ندري ان كانت احديهما  
مصحفة أم لا

« ٢ » ذكر ابن حجر العسقلاني في كتابه تفصيل المنتبه بتحرير  
المشبه أن التلب بفتح أوله ككتف . وأفادني شيخنا العلامة الشيخ  
محمد محمود الشنقيطي

تصاد بها الوحوش وأحدثها حباله ومن كلام العرب خَشَّ ذُوَاله بِالْحَبَالَة وانما هو جنابذ اللؤلؤ والجنابذ جمع جُنْبَذَة وهي القبة وهذا النوع كثير جداً وقد وضع فيه الدارقطني رحمه الله كتاباً مشهوراً سماه تصحيف الحفاظ<sup>(١)</sup>

ومن ظريف ما وقع منه في كتاب مسلم ومسنده الصحيح . نحن يوم القيامة على كذا أنظر . وهذا شيء لا يتحصل له معنى وهكذا نجد في كثير من النسخ وانما هو نحن يوم القيامة على كُؤم والكوم جمع كومة وهو المكان المشرف فصحفه بعض النقلة فكتب نحن يوم القيامة على كذا فقرأ من قرأ فلم يفهم ما هو فكتب في طرة الكتاب أنظر بأمر

١٥ هذا مثل يضرب لمن لا يبالي بمن تهده أي توعد غيري فاني اعرفك ويقال له في المثل العامي قولهم (على هاما يا فرعون) . وذوالة اسم للذئب مشتق من الذالان وهو مشي خفيف ه من كتاب الامثال للميداني مع زيادة

٢٥ ولأبي أحمد الحسن العسكري المتوفى سنة ٣٨٢ كتاب جليل سماه شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف مما يعرض في ألفاظ اللغة والشعر وغيرها وهو موجود بالكتبخانة الخديوية نمرة (١٩٤) من فن الادب

قاريء الكتاب بالنظر فيه وينبئه عليه فوجده ثالث فظنه من  
الكتاب فألقه بمتنه

### العدّة الخامسة

وهي اسقاط شيء من الحديث لا يتم المعنى إلا به وهذا  
النوع أيضاً قد وردت منه أشياء كثيرة في الحديث كنعو  
مارواه قوم عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه سئل عن ليلة  
الجن فقال ما شهدها منا أحد وروى عنه من طريق آخر أنه  
رأى قوماً من الزّط فقال هؤلاء أشبه من رأيت بالجن ليلة  
الجن فهذا الحديث يدل على أنه شهدها والاول يدل على أنه  
لم يشهدها فالحديثان كما ترى متعارضان وإنما أوجب التعارض  
بينهما أن الذي روى الحديث الاول أسقط منه كلمة رواها  
غيره وإنما الحديث ما شهدها منا أحد غيري

### العدّة السادسة

وهي أن ينقل المحدث الحديث وينقل عن نقل السبب  
الموجب له فيعرض من ذلك اشكال في الحديث أو معارضة  
لحديث آخر كنعو مارواه قوم من أن النبي صلى الله عليه وسلم  
أتى بالمرّنين الذين ارتدوا عن الاسلام وأغاروا على لقاحه فأمر

بقطع أيديهم وأرجلهم وسَمَل عيونهم وتركوا بالحرة يستسقون  
فلا يسقون حتى ماتوا وقد وردت عنه الروايات من طرق  
شتى أنه نهى عن المثلة وإنما عرض هذا التعارض من أجل أن  
الذي روى الحديث الأول أغفل نقل سببه الذي أوجبه ورواه  
غيره فقال إنما فعل بهم ذلك لأنهم مثلوا برعائه فجازاهم بمثل  
فعلهم . ومن الفقهاء من يرى أن هذا كان في أول الإسلام  
قبل أن تُنزل الحدود ثم نسخ

وقد ذهب بعض العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم إن  
الله خلق آدم على صورته إلى أنه مما أغفل الناقل ذكر السبب  
الذي قاله من أجله ورووا أن النبي صلى الله عليه وسلم  
مرّ برجل وهو يلطم وجه عبده وهو يقول قبح الله وجهك ووجه  
من أشبهك فقال النبي صلى الله عليه وسلم . إذا ضرب أحدكم  
عبده فليتق الوجه فإن الله خلق آدم على صورته قالوا فإلهاء  
إنما تعود على العبد فلما روى الراوي الحديث وأغفل رواية  
السبب أو هم ظاهره أنها تعود على الله سبحانه وتعالى تعالى الله  
عن ذلك علواً كبيراً وهذا الذي قالوه ورووه غير معترض  
على رواية غيرهم من وجهين { أحدهما } أنه قد جاء في حديث

آخر رأيت ربي في أحسن صورة وهذا لا يسوغ معه شيء من الذي قالوه ( والثاني ) أن الحديث له تأويل صحيح بخلاف ما ظنوه وقد تكلم فيه ابن قتيبة فلم يأت فيه بمقنع بل جاء بما لو سكت عنه لكان أجدى بما عليه . وقد تكلم فيه ابن فورك<sup>(١)</sup> فأحسن كل الاحسان ونحن نذكر ما قاله بأوجز ما يمكن ونزيد ما يتم ذلك بحول الله تعالى فنقول بأن الضمير في قوله على صورته يجوز أن يكون عائداً على آدم ويجوز أن يكون عائداً على الله تعالى فإذا كان عائداً على آدم فالغرض من الحديث الرد على الدهرية واليهود والقدرية وهذا من جوامع كلامه التي أوتىها صلى الله عليه وسلم

ووجه الرد على الدهرية من وجهين (أحدهما) أن الدهرية قالت إن العالم لا أول له وأنه لا يجوز أن يتكون حيوان إلا

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك المتكلم الاصولي النحوي الواعظ الاصبهاني ورد نيسابور فبنى له بها مدرسة وأحيا الله به أنواعاً من العلوم وبلغت مصنفاته في أصول الفقه والدين ومعاني القرآن قريباً من مائة مصنف توفي سنة ست وأربعمائة هـ من تاريخ ابن خلكان باختصار

من حيوان آخر قبله فأعلمنا صلى الله عليه وسلم أن الله خلق آدم على صورته التي شوهد عليها ابتداءً من غير أن يتكون في رحم كما يتكون الجنين عاقبة ثم مضغة حتى تم الحلقة (والثاني) أن الدهرية تزعم أن للطبيعة والنفس السكينة فعلاً في المحادثات المتكونة غير فعل الله تعالى عن قولهم فأعلمنا أيضاً أن الله تعالى خلقه على هيئته التي كان عليها وانفرد بذلك دون مشاركة من طبيعة ولا نفس ووجه الرد على اليهود أن اليهود كانوا يزعمون أن آدم في الدنيا كان على خلاف صورته في الجنة وأن الله تعالى لما أهبطه من جنته نقص قامته وغير خلقه فأعلمنا بكذبهم فيما يزعمون وأعلمنا أنه خلقه في أول أمره على صورته التي كان عليها عند هبوطه

ووجه الرد على القدرية أن القدرية زعمت أن أفعال البشر مخلوقة لهم لا لله تعالى عن قولهم وهو نحو ما ذهبت إليه الدهرية من أن للنفس والطبيعة أفعالاً غير فعل الله تعالى فأفادنا أيضاً بطلان قولهم وأعلمنا أن الله تعالى خلقه وخلق جميع أفعاله فهذا ما في الهاء من القول إذا كانت راجعة على آدم صلى الله عليه وسلم وإذا كانت عائدة على الله تعالى كانت

إضافة صورة آدم إليه على وجه التشريف والتنويه والتخصيص  
لاعلى معنى آخر مما يسبق الى الوهم من معاني الاضافات  
فيكون كقولهم في الكعبة إنها بيت الله وقد علمنا أن البيوت  
كلها له وكقوله تعالى « وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى  
الْأَرْضِ هَوْنًا » وقد علمنا أن جميع البشر من مؤمن وكافر  
عباده وإنما خصصه بالاضافة إلى الله تعالى دون غيره لأن  
الله شرفه بما لم يشرف به غيره وذلك أنه عز وجل شرف  
الحيوان على الجماد وشرف الأنسان على سائر الحيوانات  
وشرف الأنبياء عليهم السلام على جميع نوع الانسان وشرف  
ادم على جميع نبيه بأن خلقه دفعة من غير ذكر وأتى ودون  
أن ينقل من النطفة إلى العلقه ومن العلقه الى المضغة وسائر  
أحوال الإنسان التي يتصرف فيها الى حين كماله ونسب خلقه  
الى نفسه دون سائر البشر فقال لما خلقت بيدي ونفخت فيه  
من روحي وأسجد له ملائكته ولم يأمرهم بالسجود لغيره فنبهنا  
عليه باضافة صورته الى الله تعالى على هذه المنزلة التي تفرد بها  
دون غيره ويدلك على صحة هذا التأويل قوله تعالى « وَنَفَخْتُ  
فِيهِ مِنْ رُوحِي » وقوله « وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ » وقوله

« لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ » فكما لا تدل اضافة هذه الاشياء اليه على أن له نفساً وروحاً ويدين فكذلك اضافة الصورة اليه لا تدل على أن له صورة. وقد يجوز في اضافة الصورة الى الله تعالى وجه فيه غموض ودقة وذلك أن العرب تستعمل الصورة على وجهين (أحدهما) الصورة التي هي شكل مخطط محدود بالجهات كقولك صورة زيد وصورة عمرو (والثاني) يريدون به صفة الشيء الذي لا شكل فيه يحس ولا تخطيط ولا جهات محدودة كقولك ما صورة أمرك وكيف كانت صورة قضيتك يريدون بذلك الصفة فقد يجوز أن يكون معنى خلق آدم على صورته أي على صفة فيكون مصروفاً الى المعنى الثاني الذي لا تحديد فيه فإن قلت فما معنى هذه الصفة وكيف تلخيص القول فيها فالجواب أن معنى ذلك أن الله تعالى جعله خليفة في أرضه وجعل له عقلاً يعلم به ويفكر ويسوس ويدبر ويأمر وينهى وسلطه على جميع ما في البر والبحر وسخر له ما في السموات والأرض وقد قال في نحو هذا بعض المحدثين يمدح بعض خلفاء بني أمية فقال

أمره من أمر من ملكه      فإذا ما شاء عاقى وابتلى

فيكون معنى قولنا في آدم أنه خلق على صورة الله تعالى  
 كمعنى قولنا فيه إنه خليفة الله تعالى وهذه التأويلات كلها  
 لا تقضى تشبيهاً ولا تحديداً . فان قلت فكيف تصنع بالحديث  
 المروي عنه صلى الله عليه وسلم . رأيت ربي في أحسن صورة .  
 وهذا لا يمكنك فيه شيء من التأويل المتقدم ولا يصح لك حمله  
 عليه . فالجواب أن هذا الحديث ورد بلفظ مشترك يحتمل  
 معنيين (أحدهما) أن يكون قوله في أحسن صورة راجعاً إلى  
 الرائي لا إلى المرئي فيكون معناه رأيت ربي وأنا في أحسن  
 صورة (والثاني) أن يكون قوله في أحسن صورة راجعاً إلى  
 المرئي وهو الله عز وجل فيكون معناه رأيت ربي على أحسن  
 صفة فيكون الصورة بمعنى الصفة التي لا توجب تحديداً كما  
 ذكرنا وهذا في العربية كقولك رأيت زيدا في الدار فيجوز أن  
 يكون قولك في الدار لك كأنك قلت رأيت زيدا وأنا في الدار  
 ويجوز أن يكون المعنى رأيت زيدا وهو في الدار وعلى هذا  
 تقول رأيت زيدا قاعداً قائماً ولقيت زيدا راكبين قال الشاعر  
 فلئن لقيتك خالين لتعلمن أبي وأبيك فارس الأحزاب  
 فإذا كان التقدير رأيت ربي وأنا في أحسن صورة كان

معنا أن الله تعالى حسن صورته ونقله إلى صفة يمكنه معها رؤيته  
 إذ كان البشر لا يمكنهم رؤية الله تعالى على الصورة التي هم عليها  
 حتى ينقلوا إلى صور أخرى غير صورهم ألا ترى أن المؤمنين  
 يرون الله تعالى في الآخرة ولا يرونه في الدنيا لأن الله تعالى  
 ينقلهم عن صفاتهم إلى صفات آخر أعلى وأشرف فمجدل الله  
 تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم هذه الكرامة قبل يوم القيامة  
 خصوصاً دون البشر حتى رآه وشاهده والله يؤتي فضله من  
 يشاء ويختص بكرامته من يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون  
 وإذا كان ذلك راجعاً إلى الله تعالى كان معناه أنه رأى ربه على  
 أحسن ما عوده من إنعامه وإحسانه وإكرامه وامتنانه كما تقول  
 كيف كانت صورة أمرك عند لقاء الملك فتقول خير صورة  
 أعطاني وأنعم عليّ وأدناني من محل كرامته وأحسن إليّ فهذان  
 تأويلان صحيحان خارجان على أساليب كلام العرب دون تكلف  
 ولا خروج من استعمال إلى متعسف وقد جاء في بعض  
 الأحاديث أنها كانت رؤية في النوم فإذا كان الأمر كذلك  
 كان التأويل واضحاً لأنه لا ينكر رؤية الله تعالى في المنام  
 وبالله التوفيق

## العدة السابعة

وهي أن يسمع المحدث بمض الحديث ويفوته سماع بعضه  
 كنعجو ماروي من أن عائشة رضي الله عنها اخبرت أن أبا هريرة  
 حدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن يكن الشؤم  
 فقي ثلاث الدار والمرأة والفرس وهذا الحديث معارض لقوله  
 لا عدوى ولا هامة ولا صفر ولا غول وقد روي في أحاديث  
 عنه كثيرة أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن التطير فغضبت  
 عائشة رضي الله عنها وقالت والله ما قال هذا رسول الله قط وإنما  
 قال أهل الجاهلية يقولون إن يكن الشؤم فقي ثلاث الدار والمرأة  
 والفرس فدخل أبو هريرة فسمع الحديث ولم يسمع أوله وهذا  
 غير منكر أن يعرض لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يذكر  
 في مجلسه الاخبار حكاية ويتكلم بما لا يريد به أمراً ولا نهياً ولا  
 أن يجمله أصلاً في دينه شيئاً يستسن به وذلك معلوم من  
 فعله ومشهور من قوله

## العدة الثامنة

وهي نقل الحديث من المصحف دون لقاء الشيوخ  
 والسماع من الائمة وهذا باب عظيم البلية والضرر في الدين

فان كثيراً من الناس يتساحون فيه جداً وأكثرهم انما يعول على إجازة الشيخ له دون لقائه والضبط عليه ثم يأخذ بمد ذلك علمه من الصحف المسوذة والكتب التي لا يعلم بصحتها من سقمها وربما كانت مخالفة لرواية شيخه فيصحف الحروف ويبدل الالفاظ وينسب جميع ذلك الى شيخه ظالماً له وقد صار علم أكثر الناس في زماننا هذا على هذه الصفة ليس بأيديهم من العلم غير أسماء الكتب وانما ذكرت لك هذه العلة المعارضة للحديث لأنها أصول لنقاد الحديث الممتثين بمعرفة صحيحه من سقيه فاذا ورد عليهم حديث بشع المسموع أو مخالف للمشهور نظروا أولاً في سنده فان وجدوا في نقله ورواته رجلاً متهماً ببعض تلك الوجوه التي ذكرناها استرابوا به ولم يجعلوه أصلاً يعول عليه وان وجدوا رجاله الناقلين له ثقات مشهورين بالمداة معروفين بالفقه والامانة رجعوا إلى التأويل والنظر فان وجدوا له تأويلاً يحمل عليه قبلوه ولم ينكروه وان لم يجدوا له تأويلاً الا على استكراه شديد نسبوه الى غلط وقع فيه من بعض تلك الوجوه المتقدمة الذكر فهذه جملة القول في هذا الباب والله أعلم

### الباب السادس

﴿ في الخلاف العارض من قبل الاجتهاد والقياس ﴾  
هذا النوع إنما يكون فيما يعدم فيه وجود نص من  
قرآن أو حديث فيفزع الفقيه عند ذلك الى استعمال القياس  
والنظر كما قال الشاعر

إذا أعبا الفقيه وجود نص تعلق لاحتمال بالقياس  
والخلاف العارض من هذا النوع نوعان (أحدهما)  
الخلاف الواقع بين المنكرين للاجتهاد والقياس والمثبتين لهما  
(النوع الثاني) خلاف يعرض بين أصحاب القياس في قياسهم  
كاختلاف المالكية والشافعية والحنفية فتعرض من ذلك أنواع  
من الخلاف عظيمة وهذا الباب أشهر من أن تطيل القول فيه

### الباب السابع

﴿ في الخلاف العارض من قبل النسخ ﴾  
الخلاف العارض من هذا النوع يتنوع أولاً نوعين  
(أحدهما) خلاف يعرض بين من أنكر النسخ وبين من  
أثبتته. وإثباته هو الصحيح وجميع أهل السنة مثبتون له وإنما  
خالف في ذلك من لا يلتفت الى خلافه لأنه بمنزلة دفع

الضرورات وإنكار العيّن ( والنوع الثاني ) خلاف عارض بين  
القائلين بالنسخ وهذا النوع الثاني ينقسم ثلاثة أقسام ( أحدها )  
اختلافهم في الاخبار هل يجوز فيها النسخ كما يجوز في الأمر  
والنهي أم لا ( والثاني ) اختلافهم في هل يجوز أن تنسخ السنة  
القرآن أم لا ( والثالث ) اختلافهم في أشياء من القرآن والحديث  
فذهب بعضهم الى أنها نسخت وبعضهم إلى أنها لم تنسخ

### الباب التاسع

في الخلاف العارض من قبل الاباحة

هذا النوع من الخلاف يعرض من قبل أشياء أوسع الله  
تعالى فيها على عباده وأباحها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه  
وسلم كاختلاف الناس في الأذان والتكبير على الجنائز وتكبير  
التشريق ووجوه القراءات السبع ونحو ذلك  
فهذه أسباب الخلاف الواقع بين الأمة قد نهت عليها  
وأرشدت قارئي كتابي هذا إليها وهذا الكتاب وان كان  
صغير الجرم يسير الحجم فان فيه تنبيهات على أشياء جليلة يحسن  
سمعها ويحلوا من نفس الذكي مراقبتها وأنا أستغفر الله من

ذلل ان كان عرض ، وأسأله عوناً على ما تعبد به وفرض  
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً الى يوم  
الدين والحمد لله رب العالمين

﴿ خاتمة المصحح ﴾

يقول الفقير احمد عمر الحمصاني البيروتي الازهري قد  
نجز طبع هذا الكتاب العجيب المنزع الذي يشبه المخترع وإن  
كان غير مخترع وقد عانيت في تصحيحه وضبط كلماته وشرح  
آياته ومعرفة قائمها عناء عظيمًا لولا ما تداركني الله بهمة شيخنا  
العلامة الفهامة المحقق المدقق الاستاذ الشيخ محمد محمود ابن  
التلاميذ التركي الشنقيطي حفظه الله ونفع به وبعلومه المسلمين  
فقد طالما أزاح عني مشكلات وأفصح عن تحقيق جليل وقد  
عزوت اليه في مواضع من هذا الكتاب ما أملاه علي وأفادني به .  
فجزاه الله عني وعن الاسلام والعلم وأهله خير الجزاء آمين  
كما أني أشكر حضرة السري الهمام الكامل احمد بيك تيمور  
على إعارته لي نسخته من هذا الكتاب فأكملت نقصاً كان في  
نسختي وقابلتها عليها أيضاً والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات

## فهرست

هذا الكتاب الجليل

	صحيفة
خطبة الناشر	٢
ترجمة المؤلف	٣
مؤلفاته	٤
خطبة المؤلف وكلام في اثبات البعث وما احتوى عليه الكتاب	٥
ذكر الاسباب الموجبة للخلاف كم هي	١٠
﴿الباب الاول﴾	
في الخلاف العارض من جهة اشتراك الالفاظ واحتمالها التأويلات الكثيرة	١١
وقوع الاسماء على المسميات في كلام العرب وأقسامه	١٣
الاشتراك العارض من قبل اختلاف أحوال الكلمة	٢٢
دون لفظها	

## صحيفة

- ٢٣ الاشتراك العارض من قبل تركيب الكلام
- ٣٢ التركيب الدال على معان مختلفة غير متضادة
- ﴿ الباب الثاني ﴾
- ٣٣ في الخلاف العارض من جهة الحقيقة والمجاز
- ٣٤ أنواع المجاز
- ٤١ كلام نفيس في معنى الحديث (ينزل ربنا كل ليلة الخ)
- ٤٣ الكلام في الاستعارة والمجاز
- ٤٤ معاني النزول في كلام العرب
- ٤٦ غلط المجسمة في معنى قوله تعالى « الله نور السموات  
والارض »
- ٤٩ الحقيقة والمجاز العارض من قبل أحوال الكلمة
- ٥٠ « » « » « » طريق التركيب
- ﴿ الباب الثالث ﴾
- ٦٦ في الخلاف العارض من جهة الافراد والتركيب
- ٧٠ ما اختلف فيه الفقهاء لأخذ كل منهم بحديث مفرد
- ٧٢ كلام جميل في معنى قوله تعالى « ووجدك ضالاً فهدى »

## صحيفة

- ٧٥ معاني الحياة والموت في كلام العرب
- ٨٢ من ظريف باب الافراد توأدمقالتين متضادتين ويكون  
الحق في مقالة ثالثة
- ٨٣ فن ذلك ما ذهبت اليه القدرية والجبرية
- ٩٠ رأي المشيخة وجلة العلماء في القضاء والقدر
- ﴿ الباب الرابع ﴾
- ٩٢ في الخلاف العارض من جهة العموم والخصوص
- ٩٣ ما وقع فيه الخلاف فاحتاج الى فضل نظر
- ٩٦ كلام في حديث (المؤمن يأكل في معي واحد) الخ
- ٩٩ وقد يأتي من هذا الباب ما موضوعه في اللغة العموم الخ
- ﴿ الباب الخامس ﴾
- ١٠٠ في الخلاف العارض من جهة الرواية
- ١٠١ العلة الاولى فساد الاسناد وهي أشهر العلة
- ١٠٧ الوجوه التي يمرض للاسناد منها الفساد
- ١٠٤ ومما يبعث على الاسترابة بنقل الناقل
- ١٠٤ تنبيه الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يعرض حديثه

## على كتاب الله تعالى

- ١٠٧ العلة الثانية نقل الحديث على المعنى دون اللفظ
- ١١٠ الكلام في حديث عائشة اذا حاضت المرأة حرم الجحرا ان
- ١١١ ومن ظريف الغلط الواقع في اشتراك الالفاظ
- ١١٣ العلة الثالثة الجهل بالأعراب ومباني الكلام
- ١١٦ العلة الرابعة التصحيف وهذا باب عظيم الفساد
- ١١٨ ومن ظريف ما وقع منه في كتاب مسلم ومسنده الصحيح
- ١١٩ العلة الخامسة اسقاط شئ من الحديث
- ١١٩ العلة السادسة نقل الحديث وانفعال السبب الموجب له
- ١٢٠ كلام جليل في حديث ( ان الله خلق آدم على صورته )
- ١٢٤ استعمال لفظ الصورة عند العرب
- ١٢٧ العلة السابعة أن يسمع المحدث بعض الحديث ويفوته  
سماع بعضه
- ١٢٧ العلة الثامنة نقل الحديث من المصحف دون لقاء الشيوخ  
والسماع من الأئمة

١٣١ خاتمة المصحح

obeyikandali.com